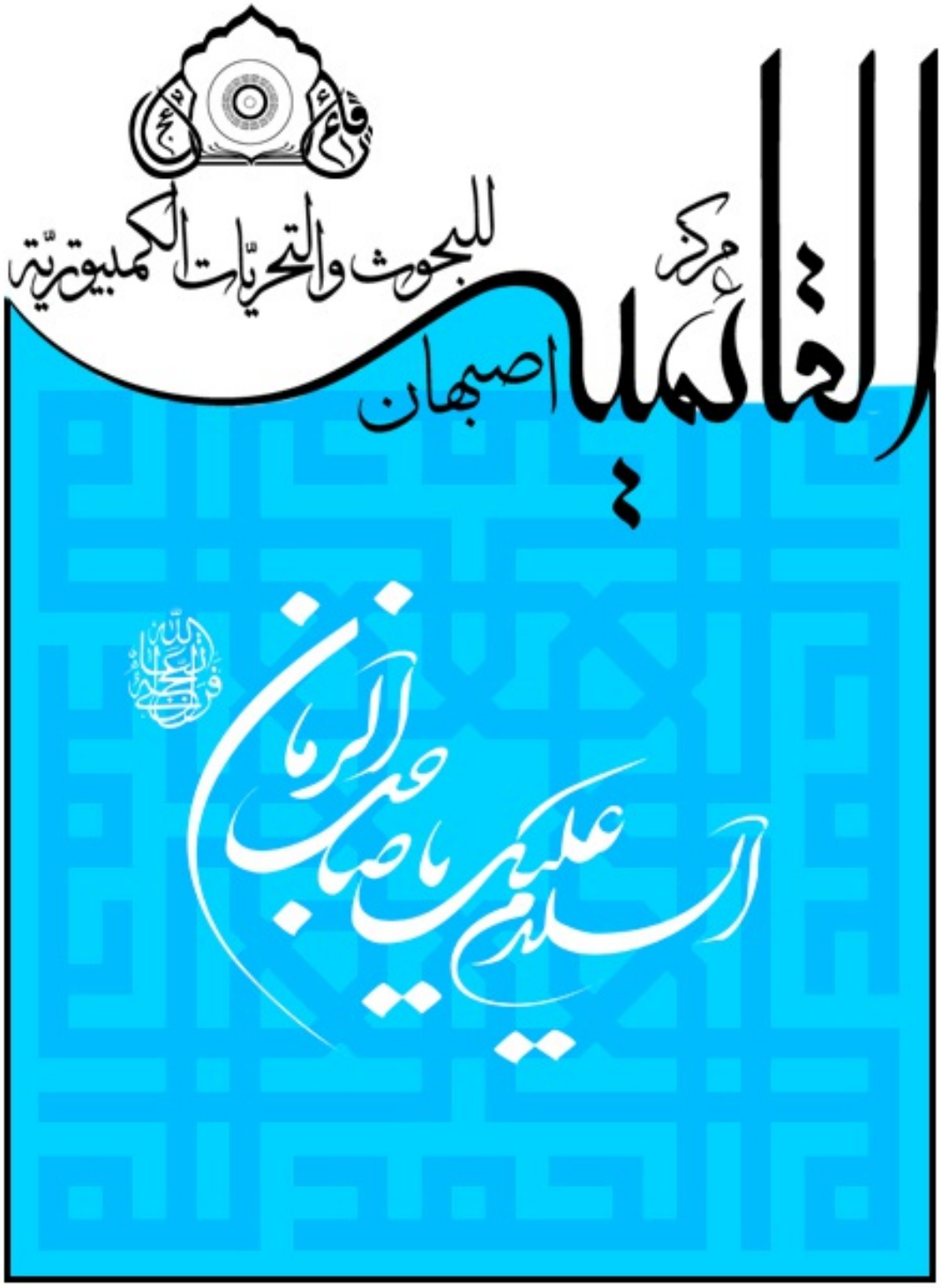

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

التبرک والتوسل والصلح

مع العدوالصهیونی فی رسالتین

فتح الله بن تقی النجار

بسم الله الرحمن الرحيم

التبرک والتوسل والصلح مع العدو الصهيونی فی رسالتين

كاتب:

فتح الله محمدی نجارزادگان

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
التبرک و التوسل و الصلح مع العدو الصهیونی فی رسالتین ----- ۸
اشارة ----- ۸
اشارة ----- ۹
تقدیم ----- ۱۳
التبرّک والتوسّل والصلح مع العدو الصهیونی ----- ۱۹
اشارة ----- ۱۹
رسالة الأستاذ الشیخ محمد واعظ زاده الخراسانی ----- ۲۱
أجوبة ----- ۴۳
رسالة الأستاذ عبد العزیز بن عبد اللّه بن باز ----- ۴۳
تعلیقات ----- ۶۹
اشارة ----- ۶۹
تعلیق علی الرسالتین ----- ۷۱
التبرّک والتوسّل علی ضوء الکتاب والسنّة ----- ۱۱۱
اشارة ----- ۱۱۱
تعلیق آخر (حوارات عقائدیّة معاصرة) ----- ۱۱۳
اشارة ----- ۱۱۳
۱. التبرک بالآثار ----- ۱۱۵
مظاهر الحب فی الحیاة ----- ۱۲۰
اشارة ----- ۱۲۰
۱. الاتباع ----- ۱۲۰
۲. حبّ ما یمتّ إلیه بصلة ----- ۱۲۱
اشارة ----- ۱۲۱

۱. التبرک بقبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم عند الجدب ۱۲۳
۲. التبرک بالمواضع الّتی صلّی فیها النبی صلی الله علیه و آله و سلم ۱۲۴
۳. تبرک الصحابی بقبر الرسول صلی الله علیه و آله و سلم عند الزیارة ۱۲۵
۴. التبرک بمنبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم ۱۲۶
۵. تبرک ریحانة الرسول بقبر أبیها ۱۲۹
۶. تبرّک الشیخین بتربة قبره ۱۳۰
اشارة ۱۳۰
استلام الحجر الأسود ۱۳۰
۳. عبداللّه بن عمر وتتبع آثار النبی صلی الله علیه و آله و سلم ۱۳۵
قصة قطع الشجرة ۱۳۷
التوسل بالأنبیاء والأولیاء ۱۳۹
اشارة ۱۳۹
۱. تعریف العبادة وتحدید معناها ۱۴۲
۲. عرض التمسح والتوسل علی الضابطة ۱۵۳
۳. عقیدة المشرکین فی دور معبوداتهم فی قضاء الحوائج ۱۵۵
یلاحظ علیه: ۱۵۶
هل الدعاء والعبادة مترادفان؟ ۱۶۱
اشارة ۱۶۱
الآیة الأُولی: ۱۶۶
الآیة الثانیة: ۱۶۸
کلام لابن تیمیة ۱۷۰
کلام آخر لابن تیمیة ۱۷۹
اشارة ۱۷۹
الأمر الأوّل: الفصل بین مشیئة اللّه ومشیئة الرسول صلی الله علیه و آله و سلم ب «ثم» ۱۸۵

الأمر الثانی: الحلف بغیر اللّه تعالی ----- ۱۸۷
اشارة ----- ۱۸۷
الحلف بغیر اللّه فی الصحاح ----- ۱۸۸
الأمر الثالث: قول النبی صلی الله علیه و آله و سلم: «لا تُطرونی کما أطرت النصاری عیسی ابن مریم إنّما انا عبداللّه، فقولوا عبداللّه ورسوله» ----- ۱۹۳
الأمر الرابع: نهی النبی صلی الله علیه و آله و سلم عن اتخاذ القبور مساجد ----- ۱۹۳
الاستشهاد بکلام ابن القیّم ----- ۱۹۸
استنتاج الشیخ ----- ۲۰۱
التوسل بعم النبی ----- ۲۰۵
تعلیم النبیّ التوسل بشخصه ----- ۲۱۰
اشارة ----- ۲۱۰
۱. روی أکثر من واحد من المحدثین «۱» کالنسائی والبیهقی والطبرانی والترمذی والحاکم- وقد اتفقوا علی صحة الحدیث-: أن رجلًا ضریراً أتی إلی النبی ه
۲. محمد نبی الرحمة ----- ۲۱۲
۳. یا محمد إنّی أتوجّه بک إلی ربّی ----- ۲۱۲
۴. وشفّعه فیّ ----- ۲۱۲
فهرس المصادر ----- ۲۱۷
تعریف مرکز ----- ۲۲۴

التبرک و التوسل و الصلح مع العدو الصهیونی فی رسالتین

اشارة

سرشناسه : نجارزادگان، فتح‌الله، ۱۳۳۷ - ، گردآورنده.

سقاف، حسن

سبحانی تبریزی، جعفر، ۱۳۰۸ -

عنوان و نام پدیدآور : التبرک والتوسل والصلح مع‌العدوالصهیونی: علی ضوء آراء: ۱- محمد واعظ زاده‌الخراسانی. ۲- عبدالعزیزبن‌عبدالله‌بن‌باز. ۳- حسن‌بن‌علی‌السقاف. ۴- جعفر السحابی/اعداد و تنظیم فتح‌الله‌بن تقی‌النجار.

مشخصات نشر : تهران: مشعر، ۱۳۸۶.

مشخصات ظاهری : ۲۱۵ ص.

شابک : ۸۵۰۰ ریال ۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۰۳۲-۱:

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : دو مبحث آخر کتاب حاضر نقدی بر" التبرک والتوسل "...واعظزاده‌خراسانی و ابن‌باز است.

یادداشت : کتابنامه: ص. ۲۰۹ - ۲۱۵؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع : سبحانی تبریزی، جعفر، ۱۳۰۸ - -- دفاعیه‌ها و ردیه‌ها.

موضوع : ابن‌باز، عبدالعزیز، ۱۹۱۲ - ۱۹۹۹م. -- نامه‌ها.

موضوع : واعظزاده‌خراسانی، محمد، ۱۳۰۴ - -- نامه‌ها.

موضوع : سقاف، حسن، -- دفاعیه‌ها و دریه‌ها.

موضوع : واعظزاده‌خراسانی، محمد، ۱۳۰۴ - .التبرک والتوسل والصلح مع‌العدوالصهیونیستی -- نقد و تفسیر.

موضوع : ابن‌باز، عبدالعزیز، ۱۹۱۲ - ۱۹۹۹م.التبرک والتوسل و الصلح مع‌العدوالصهیونیستی -- نقد و تفسیر.

موضوع : تبرک.

موضوع : توسل.

موضوع : صلح -- جنبه‌های مذهبی -- اسلام

موضوع : اسلام و صهیونیسم.

شناسه افزوده : Saggaf, Hasan ibn Ali

شناسه افزوده : واعظزاده‌خراسانی، محمد، ۱۳۰۴ - .التبرک و التوسل و الصلح مع‌العدوالصهیونیستی.

شناسه افزوده : ابن‌باز، عبدالعزیز، ۱۹۱۲ - ۱۹۹۹ م Ibn Baz, Abd al-Aziz ibn Abdallah. التبرک والتوسل و الصلح مع‌العدو الصهیونیستی.

رده بندی کنگره : BP۲۲۶/۶۵/و۲ت۲۰۸۴

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۶۸

شماره کتابشناسی ملی : ۱۰۴۸۸۸۲

ص: ۱

اشارة

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

تقديم

تبودلت منذ أمد رسالتان بين الشيخ محمد واعظ زاده الخراسانى الأمين العام للمجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة من الجمهورية الإسلامية الإيرانية والشيخ عبد العزيز ابن عبد اللّه بن‌باز، الرئيس‌العام لإدارةالبحوث العلمية والإرشاد والدعوة الإسلامية والمفتى العام بالمملكة العربية السعودية. الرسالة الأولى بعثت من مكّة المكرمة، أيّام الحج فى ۱۱ ذى الحجة الحرام ۱۴۱۳ ه. ق، والرسالة الثانية، صدرت إجابة للأولى من مكتب المفتى العام فى ۶ من جمادى الثانى ۱۴۱۶ ه. ق، رقم ۱۶۶۵/ ۱، أى بعد ما يقارب سنتين وبضعة شهور.

تناولت الرسالة الأولى مسألتين مهمتين شغلتا ولا

ص: ۶

تزالان الأوساط الدينيّة؛ ودور العلم فى البلاد الإسلامية بل المجتمعات الاسلامية عامة على صعيدى الثقافة والسياسة.

الأولى: مسألة التبرك والتوسل بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم وبالأولياء فى حياتهم ومماتهم. وهذه المسألة أحدثت ضجّة بين المسلمين منذ قرون بين موافق أو مخالف لها إطلاقاً، أو مفصِّل بين ما إذا خلصت من شائبة الشرك فتجوز، وإلّا فلا، وقد نشرت حولها مئات الكتب وآلاف الخطابات والبحوث.

والأستاذ الخراسانى طرح المسألة على أساس أنّها مسألة خلافية بين المسلمين وحتى بين الصحابة أنفسهم، مشيراً إلى بعض ما يدعم رأيه، مؤكّداً على أنّ مثل هذه المسألة الخلافية سواء أجزناها أو رفضناها، لا ينبغى أن تكون مدعاة لتهمة الشرك ولا رمى القائلين بها إلى اعتقاد الشرك والخروج عن ربقة الإسلام.

المسألة الثانية: حول الصلح مع العدو الصهيونى، الذى أجازه الشيخ بن باز فى بعض بحوثه إذا لم يكن فى إمكان المسلمين الحرب مع هذا الكيان، وإحقاق حقوق الشعب الفلسطينى من خلال القتال، استناداً إلى صلح النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم مع المشركين فى الحديبيّة. وقد شغل بحث الأستاذ

ص: ۷

الخراسانی حول هذه المسألة قسطاً کبیراً من رسالته، مرکزاً علی وجود فرق واضح بین صلح الحدیبیّة وبین الصلح مع الکیان الصهیونی من نواحٍ شتی (۱).

أجاب الشیخ بن باز عن المسألة الأولی مصرّحاً بوجود الخلاف فیها بین بعض الصحابة، ومفرّقاً فی التبرک بآثار النبیّ، بین ما مسّ بدنه فی حیاته وبین غیره بعد وفاته، فجوّز الأوّل استناداً إلی شواهد کثیرة، ومنع الثانی لعدم الدلیل علی جوازه، وقد أطال البحث حول هذه المسألة وما شابهها مستنداً إلی ابن تیمیة وغیره. ولکن الشیخ بن باز أمسک فی رسالته عن الإجابة عن المسألة الثانیة رغم أهمیّتها القصوی فی حیاة المسلمین.

وقد کتب الأستاذ حسن بن علی السقاف تعلیقاً علی الرسالتین، وجاءت أکثر تعلیقاته علی رسالة الشیخ بن باز، أوضح فیها أنّ الشیخ بن باز لم یتعرّض لجمیع جوانب المسألة، کما لم تکن الأدلّة التی أوردها فی منع التبرّک بآثار النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم والتوسّل بالأولیاء، تامّة. وأشار الشیخ السقاف أیضاً إلی عدد من الأحادیث الصحیحة المنقولة عن

۱- راجع أیضاً بحث الأستاذ الدکتور عبد الهادی الفضلی، تحت عنوان: الرأی الفقهی فی السلام مع إسرائیل، مجلة رسالة التقریب، العدد ۱۵.

ص: ۸

النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، والآثار الثابتة عن الصحابة الدالّة علی جواز التوسّل والتبرّک مطلقاً. کما ذکر أیضاً فی أثناء البحث إقرار جمع من أئمة السلف والحفّاظ علی جواز تلک الأمور.

ثم نعید نشر هذه الرسائل الثلاثة مرفقة برسالة رابعة للأستاذ الفاضل الشیخ جعفر السبحانی تحت عنوان «حوارات عقائدیة معاصرة» مع شرح وتفصیل فذکر خلاصة کلام المفتی الشیخ بن باز فی مقاطع مختلفة ثمّ یعرّج علیه بالتحلیل الواسع والدراسة الشاملة.

ونحن إذ نشکر الأساتذة لهذه الروح الأخویّة والحوار العلمی الذی جری بینهم فی المسألتین- رغم البون الشاسع فی وجهات النظر- بروح طیّبة واحترام متبادل، کما کانت علیه سیرة السلف الصالح من الصحابة الکرام وکثیر من التابعین وجلّ العلماء والعظام، رأینا أن نضع نص الحوار بین أیدی الباحثین لیکون نموذجاً للروح العلمیّة الموضوعیّة المتوخّاة فی مثل هذه المسائل الخلافیّة، علماً بأنّ مجلة «رسالة التقریب» (۱) نشرت رسالة الأمین العام الشیخ محمّد

۱- «رسالة التقریب» مجلة یصدرها المجمع العالمی للتقریب بین المذاهب الإسلامیة، فصلیّة متخصصة تعنی بقضایا التقریب بین المذاهب ووحدة الأمّة الإسلامیة.

ص: ۹

واعظزاده ورسالـة المفتى العام الشـيخ بن باز فى العدد السادس عشـر ۱۴۱۸ ه. ونشـرت تعليق حسن بن علىّ السـقاف فى العدد السابع عشر ۱۴۱۸ ه.

وقد نقلنا من هذه المجلة كلتا الرسالتين مع تعليقة الشـيخ السـقاف وأضـفنا تعليق الاسـتاذ الشـيخ جعفر السـبحانى وجمعناها فى كراس صغير اشـتمل على بعض الإضافـات التى أوردناهـا على التعليقـة، وتتضـمن اسـتخراج المصـادر، وإيراد الشواهـد، وبعض التوضـيحات المناسـبة فى الحاشية. سائلين المولى تعالى أن يستفيد من هذا الكراس جميع المؤمنين والمؤمنات الذين يسعون دائماً للعمل بواجباتهم الشرعية عن فهم وتحقيق لا عن تقليد وتعصّب أعمى. واللّه المعين وله الحمد فى الآخرة والأولى.

ص: ۱۰

ص: ۱۱

التبرّک والتوسّل والصلح مع العدو الصهیونی

اشارة

بقلم:

الشیخ محمّد واعظزاده الخراسانی

فی حوار له مع الشیخ عبدالعزیز ابن باز

ص: ۱۲

ص: ۱۳

رسالة الأستاذ الشيخ محمد واعظ زاده الخراسانى

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّه‌ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. سماحة الأستاذ الجليل الشيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز المحترم/ الرئيس العام لإدارة البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد.

السلام عليكم ورحمة اللَّه، وبعد:

لاحظت تركيزكم على مسألة التوحيد فى عدد من أعداد مجلة البحوث الإسلامية، كما سمعتكم فى جلستين وفقت لزيارتكم، تؤكدون تأكيداً متواصلًا على إرشاد الناس إلى التوحيد الخالص للَّه‌ربّ العالمين. ولا شك أنّه الأساس القويم، والركن الركين لهذا الدين الحنيف، بل هو

ص: ۱۴

محور كل أحكامه وشرائعه. وهذه ميزة لمستها فى سماحتكم مشكورين.

ومع احترامى وتقديرى لجهودكم فى هذا السبيل، خطر ببالى بعض الملاحظات، أحببت أن أبديها لكم راجياً أن يكون فيها خير الإسلام والمسلمين، والاعتصام بحبلاللّه المتين فى سبيل تقارب المسلمين ووحدة صفوفهم فى مجال العقيدة والشريعة.

أوّلًا: لاحظتكم تعبّرون دائماً عن بعض ما شاع بين المسلمين، من التبرك بآثار النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وبعض الأولياء، كمسح الجدران والأبواب فى الحرم النبوى الشريف وغيره، شركاً وعبادة لغير اللّه، وكذلك طلب الحاجات منه ومنهم، ودعائهم، وما إلى ذلك.

إنّى أقول: هنا فرق بين ذلك، فطلب الحاجات من النبىّ ومن الأولياء، باعتبارهم يقضون الحاجات من دوناللّه أو مع اللّه، فهذا شرك جلىّ لا شك فيه، لكن الأعمال الشائعة بين المسلمين، والتى لا ينهاهم عنها العلماء فى شتّى أنحاء العالم الإسلامى من غير فرق بين مذهب وآخر، ليست هى فى جوهرها طلباً للحاجات من النبىّ والأولياء، ولا اتخاذهم أرباباً من دون اللّه، بل مردّ ذلك كلّه(لو

ص: ۱۵

استثنينا عمل بعض الجهّال من العوام) إلى أحد الأمرين:

التبرّك والتوسّل بالنبيّ وآثاره، أو بغيره من المقرّبين إلى اللّه عزّ وجلّ.

فالتبرّك بآثار النبيّ من غير طلب الحاجة منه ولا- دعائه، فمنشؤه الحبّ والشوق الأكيد رجاء أن يعطيهم اللّه الخير بالتقرّب إلى نبيّه وإظهار المحبة له (۱)،

۱- وقد أحسن الذهبى وأجاد فى كتابه «سير أعلام النبلاء» عند ترجمةالحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب(ج ۴، ص ۴۸۳- ۴۸۴، الرقم/ ۱۸۵) استطراداً للردّ على شيخه ابن تيمية حيث قال: «فَمَنْ وَقَفَ عند الحُجرة المقدّسة ذليلًا مُسَلِّماً، مُصلِّياً على نبيّه فيا طوبى له، فقد أَحْسَنَ الزيارة وأَجْمَلَ فى التذلل والحُبّ وقد آتى بعبادة زائدة على من صَلّى عليه فى أرضه أو فى صلاته إذ الزائر له أجر الزيارة وأجر الصلاة عليه والمُصَلّى عليه فى سائر البلاد له أجرُ الصلاة فقط فمن صلّى عليه واحدة صلّى اللّه عليه عشراً ولكنّ من زاره- صلوات اللّه عليه- وأساءَ أدب الزيارة أو سَجَدَ للقبر أو فَعَلَ ما لا يُشرع، فهذا فَعَلَ حسناً وسَيِّئاً فَيُعَلَّم برفق واللّهُ غفور رحيم؛ فواللّه ما يحصل الانزعاج لمسلم والصِّياح وتقبيل الجُدران وكثرة البكاء إلّاوهو مُحِبٌّ للّهوللرسول فَحُبّه المعيار والفارق بين أهل الجنّة وأهل النار فزيارة قبره من أفضل القرب وشدّ الرحال إلى قبور الأنبياء والأولياء ولئن سَلَّمنا أنّه غير مأذونٍ فيه لعموم قوله صلوات اللّه عليه: «لا تشدُّ الرحال إلّاإلى ثلاثة مساجد» فَشَدُّ الرحال إلى نبيّنا صلّى اللّه عليه وسلّم مستلزم لِشَدِّ الرحال إلى مسجده وذلك مشروع بلا نزاع إذ لا وصول إلى حُجرته إلّابعد الدخول إلى مسجده فليبدأ بتحيّة المسجد ثمّ بتحيّة صاحب المسجد رزقنا اللّه وإيّاكم ذلك آمين».

أوردنا تمام كلامه تتميماً للفائدة.

ص: ۱۶

وكذلك بآثار غيره من المقرّبين عند اللّه.

وإنّى لا أجد مسلماً يعتقد أن الباب والجدار يقضيان الحاجات، ولا أنّ النبىّ(أو الولىّ) يقضيانها، بل لا يرجو بذلك إلّااللّه إكراماً لنبيّه أو لأوليائه أن يفيض اللّه عليه من بركاته.

والتبرّك بآثار النبى كما تعلمون- ويعلمه كلّ من اطّلع على سيرة النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم- كان معمولًا به فى عهد النبىّ، فكانوا يتبركون بماء وضوئه وثوبه وطعامه وشرابه وشعره، وكلّ شىء منه ولم ينههم النبىّ عنه ولعلّكم تقولون: أجل، كان هذا، معمولًا به بالنسبة إلى الأحياء من الأولياء والأتقياء- كما شاهدت أصحابكم يتبركون بطعامكم- وأنّه خاص بالأحياء، دون الأموات، لعدم وجود دليل على جوازه إلّافى حال الحياة بالذات. فأقول: هناك بعض الآثار تدل على أنّ الصحابة قد تبرّكوا بآثار النبىّ بعد مماته، فعن عبد اللّه بن عمر رضى الله عنه أنّه كان يمسح منبر النبىّ تبركاً به. وهناك شواهد، على أنّهم كانوا يحتفظون بشعر النبىّ، كما كان الخلفاء العباسيون، ومن بعدهم العثمانيون، يحتفظون بثوب النبىّ تبركاً به، ولاـ سيما فى الحروب، ولم يمنعهم أحد العلماء الكبار والفقهاء المعترف بفقههم ودينهم.

ص: ۱۷

وهنا يُعجِبنى أن ألخص لسماحتكم كلام الأستاذ الدكتور سعيد رمضان العالم البوطى فى هذا المجال نقلًا عن كتابه فقه السيرة النبوية(ص ۳۵۴) فإنّه بعد ما أشار إلى شطر ممّا يدل على جواز التوسل بالنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وبآثاره قال:

«وليس ثمة فرق بين أن يكون ذلك فى حياته أو بعد وفاته.

فآثار النبىّ لا تتصف بالحياة مطلقاً» سواء تعلّق التبرك والتوسّل بها فى حياته أو بعد وفاته، كما ثبت فى صحيح البخارى فى باب شيب رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم.

ومع ذلك، فقد ضلّ أقوام لم تشعر أفئدتهم بمحبّة رسول‌اللّه، وراحوا يستنكرون التوسّل بذاته بعد وفاته، بحجّة أنّ تأثير النبىّ قد انقطع بوفاته، فالتوسل به، إنّما هو توسل بشىء لا تأثير له البتة.

وهذه حجة تدل- كما ترى- على جهل عجيب جداً، فهل ثبت لرسول اللّه تأثير ذاتى فى الأشياء حال حياته، حتى نبحث عن مصير هذا التأثير من بعد وفاته؟ إن أحداً من المسلمين لا يستطيع أن ينسب أى تأثير ذاتى فى الأشياء لغير الواحد الأحد جلّ جلاله ومن اعتقد خلاف هذا يكفر باجماع المسلمين كلّهم.

فمناط التبرك والتوسل به أو بآثاره ليس هو أسناد أى تأثير إليه، والعياذ باللّه، وإنّما المناط كونه أفضل الخلائق

ص: ۱۸

عند اللَّه على الإطلاق وكونه رحمة من اللَّه للعباد، فهو التوسّل بقربه إلى ربّه وبرحمته الكبرى للخلق.

وبهذا المعنى كان الصحابة يتوسلون بآثاره من دون أن يجدوا فيه أى إنكار. وقد مرّ فى هذا الكتاب(أى فقه السيرة) بيان استحباب الاستشفاع بأهل الصلاح والتقوى وأهل بيت النبوة فى الاستسقاء وغيره، وإن ذلك ممّا أجمع عليه جمهور الأئمة والفقهاء بما فيهم الشوكانى وابن قدامة الحنبلى والصنعانى وغيرهم.

والفرق بعد هذا بين حياته وموته خلط عجيب غريب فى البحث لا مسوّغ له «انتهى موضع الحاجة».

هذا كلّه بالنسبة إلى التبرك بآثار النبىّ حيّاً ومیّتاً، وأمّا التوسّل بذاته أو بأحد من أهل بيته فهو كذلك، كما رأينا فى كلام الدكتور البوطى، وكان معمولًا به حتى بعد وفاته كما استسقى الخليفة عمر رضى الله عنه متوسّلًا بعمّ النبىّ العباس من دون أن ينكر عليه أحد من الصحابة، ومن دون أن يكون لحياة النبىّ وموته تأثير عنده فى جواز التوسّل به.

ومردّ ذلك أنّ التبرّك بآثار النبىّ والتوسّل به وبآثاره وبذريّته وبالأتقياء من أتباعه ليس معناه طلب الحاجة منهم، ولا أن فى شىء منها بما فى ذلك ذات النبىّ تأثيراً فى

ص: ۱۹

رفع الحاجات ودفع الملمات أو أنّه يضرّ وينفع، كما ورد فى كلامكم فى صدد النهى عنه(أنّه لا يضر ولا ينفع)، فهذا تحويل للمسألة عن جوهرها، بل كل ذلك يُعَدُّ للنبى وغيره من المقربين استجلاباً لرحمة اللَّه تبارك وتعالى، لما نعلم من منزلتهم عند اللَّه، استناداً إلى سيرته وسيرة المسلمين، فلا يقاس هذا بعمل المشركين فى شأن آلهتهم، حيث كانوا يعتقدون فيها التأثير فى دفع الملمات ورفع الحاجات، إمّا مباشرة أو بالاشتراك مع اللَّه.

كما لا ينبغى الاستشهاد على حرمة التبرّك والتوسّل(بالمعنى المذكور) وكونهما شركاً بما ورد من الآيات إدانة للمشركين، فإن ذلك ليس منه فى شىء، والفرق بينهما واضح جلىّ، فهذا مظهر من مظاهر الشرك، وذلك مظهر من مظاهر التوحيد وحب اللَّه وأوليائه.

بقى هنا أمران؛ الأوّل: أن يقول قائل: نحن نسلّم بجواز التبرك والتوسّل للعلماء الذين فهموا جوهر الدين، إلّا أنّ ذلك ممنوع على العوام لأنّهم سوف يحولونهما إلى الشرك، حيث يعتقدون للنبى وآثاره وللأولياء تأثيراً ذاتياً فى رفع الحاجات أو دفع المضرّات، فيجب المنع عنهما سدّاً للذرائع.

ص: ۲۰

وهذا ما سمعنا به من الأستاذ الدكتور محمد بن سعد شُوَيعر يوم حضرنا عندكم وجلسنا على مائدتكم مشكورين.

والجواب على هذا الكلام سهل، فإنّه إذا ثبت جواز عمل بل استحبابه بدليل قطعى فلا يجوز المنع عنه بقول مطلق، خوفاً من الجُهّال أن يحولوه إلى ما فيه لون من الشرك، وإلّا كان ينبغى للرسول صلى الله عليه و آله و سلم نهى الناس عن التبرك بآثاره سداً للذريعة، كما كان ينبغى له أن يمنع الناس عن زيارة القبور حذراً من أنّ الجُهّال يتّخذونها صنماً يعبد، أو يمنع من استلام الحجر لنفس السبب، هذا ليس هو الطريق الوحيد والقول السديد لسد الذرائع، بل الطريق هو مراقبة العلماء الذين هم ورثة الأنبياء والذين هم أمناء اللّه على حلاله وحرامه، فإنّهم أمروا بحفظ الناس عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين كما جاء فى الحديث(الكافى: ج ۱، باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء، ص ۳۲) من غير أن يحرّموا حلالًا أو يحلّلوا حراماً، ويفرّقوا فى حكم واحد بين العوام والخواص.

الأمر الثانى: إنّ من يجوّز التبرك والتوسّل هم جمهور

ص: ۲۱

العلماء (۱) فى قبال جماعة أقل منهم بكثير لا يجوّزونهما، ولا ريب أن المجوزين اختاروا الجواز بعد الوقوف على الآراء، وبعد البحث والفحص عن الأدلّة، والإطلاع على ما أبداه الشيخان السلفيّان الشيخ ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبد الوهّاب وأتباعهما، فهؤلاء لم يقتنعوا طوال هذه القرون السبعة إلى يومنا هذا بحجج مخالفيهم، فهم مجتهدون، ولكلّ مجتهد مصيب أجران، وللمخطئ أجر واحد، كما هو ثابت عند الفقهاء فالمسألة بعد أن عادت خلافية اجتهاديّة، فهل تسمحون فى مثل هذه المسألة التى جلُّ العلماء على جوازها وقليل منهم على حرمتها، نسبة الكفر والشرك بل الفسق والضلال إلى هؤلاء الجمّ الغفير المعترف بفقههم وتقواهم؟

فما هو الفارق إذاً بين القطعيّات والظنيّات؟ سواء فى حقل العقيدة أو فى حقل الشريعة؟ إنّما الحكم بالكفر ثابت فيمن أنكر ضرورياً من ضروريات الدين ليس إلّا، دون مسألة خلافيّة؛ هى معترك الآراء بين الفقهاء.

فأقلّ ما يقال فى مثل هذه المسألة الخلافية هو الاحتياط بالإمساك عن التقوّل فيهم، حتى ترجع المسألة

۱- انظر: كتاب تقى الدين السبكى «شفاء السقام فى زيارة خير الأنام» لا سيماالباب الرابع، الباب السابع فإنّه أورد سرد فتاوى كثير من العلماء فى المقام.

ص: ۲۲

قطعيّة، والاكتفاء لمن لا يجوّزه بالوعظ والإرشاد، إذا رآه شركاً أو بدعة أو ضلالًا، فهذا منتهى المطاف فى أداء الواجب من مثله. وقد مرّ بنا أن استهللنا كلامنا بالتقدير لجهودكم فى سبيل إرساء أمر التوحيد، وهذا بنفسه سعى مشكور أغتبطكم عليه، لولا أن ينضمّ إليه إطلاق القول بالشرك أو الكفر فيمن جوّز هذا العمل عن اجتهاد ونظر، من دون تقليد أعمى، ولا جهل بالكتاب والسنّة وبآراء الفقهاء، الموافق منهم والمخالف.

ثانياً: أحببت الإشارة إلى مسألة أخرى لها أهميّتها، وهى ما أفتيتم بشأن مسألة فلسطين، حيث تقولون:

«إنّه يجب على المسلمين وعلى الدول الإسلاميّة والأغنياء والمسؤولين أن يبذلوا جهودهم ووسعهم فى جهاد أعداء اللّه اليهود، أو فيما تيسر من الصلح إن لم يتيسر الجهاد، صلحاً عادلًا يحصل به للفلسطينيين إقامة دولتهم على أرضهم، وسلامتهم من الأذى من عدو اللّه اليهود، مثلما صالح النبىّ أهل مكّة، وأهل مكّة فى ذلك الوقت أكثر من اليهود الآن، وإن المشركين والوثنيين أكثر كفراً من أهل الكتاب، فقد أباح اللّه طعام أهل الكتاب والمحصنات من نسائهم، ولم يبح طعام الكفار من

ص: ۲۳

المشركين، ولا نساءهم وصالحهم النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكفّ بعضهم عن بعض، وكان فى هذا الصلح خير عظيم للمسلمين، وإن كان فيه غضاضة عليهم بعض الشيّ. لكن رضيه النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم للمصلحة العامة.

فإذا لم يتيسر الاستيلاء على الكفرة، والقضاء عليهم، فالصلح جائز لمصلحة المسلمين، وأمنهم واعطائهم بعض الحقوق...»(مجلة البحوث الإسلامية (۱): رقم ۳۵، ص ۲۴).

وهذه الفتيا منكم إنّما صدرت ولا شك إخلاصاً للإسلام والمسلمين، وحرصاً على إرشاد الأمّة إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم، إلّاأنّ فيها بعض الملاحظات، فهى تحتوى شطرين:

الشطر الأوّل: وجود حرب اليهود وبذل الجهود فى جهاد أعداء اللّه اليهود. وهذا ما يوافقكم عليه علماء الإسلام جميعاً شيعة وسنّة، ولعلّكم لمستم موقف الشيعة، فى مكّة المكرّمة عبر شعاراتهم، أو سمعتم به عن طريق المذياع

۱- مجلة البحوث الإسلامية؛ مجلة دورية تصدر عن رئاسة إدارة البحوثالعلمية والإفتاء- الرياض.

ص: ۲۴

أو قرأتم عنه فى الجرائـد، أنّهم أشـدّ الناس على الكفّار ولا سـيما على اليهود. فهـذا حق صـريح، ورأيكم حجـة على جميع المسـلمين حكومات وشعوباً، جزاكم اللّه عنهم خير الجزاء، وشكر مساعيكم، فقد أديتم واجبكم أمام اللّه تبارك وتعالى وأمام المسلمين قاطبة.

وأمّا الشـطر الثانى وهو ما تيسـر من الصلح إن لم يتيسر الجهاد صلحاً عادلًا إلى آخر ما أبديتم من الرأى باخلاص فيجب الوقوف عنده طويلًا.

لاـ ريب أنّ المسألـة لو كـانت كمـا اقترحتم وكانت القيود والشـروط محقّقـة بالشـكل الـذى قيّـدتم، فالحكم هو ما صـرحتم به، إلّاأنّ المسألـة مـع الأسـف الشديـد ليست بهـذه السـهولة، ومغزى كلامـى أنّ البحث ليس فى الكـبرى من الـدليل، وإنّمـا هـو فى الصـغرى، وتوضيحها كما يأتى:

أوّلًا: إنّ الجهاد مع اليهود ميسور وبابه مفتوح بمصـراعيه أمام المسلمين، إلّاأنّ حكّام المسلمين لم يقفوا يوماً ولا يريدون أن يقفوا أمام العدوّ بكل جهودهم وإمكانياتهم، فإنّ العرب طرحوا القضيّة منذ أربعين سنة ولحد الآن قضية عربيّة، وليست إسلاميّة، وهذه أوّل ضربة وجهوها إلى القضية، حيث أبعدوا بهذا المشروع العنصرى

ص: ۲۵

معظم المسلمين عن ساحة المعركة، ولا أقل من أنّ ذلك أصبح عذراً لأولئك الحكام الذين لا علاقة لهم بشؤون المسلمين، فكانوا يقولون كما سمعت مراراً من أعوان الشاه فى إيران: «هذه مشكلة العرب مع اليهود لا شأن لنا فيها» فلم يكونوا يسمعون صرخات المسلمين والعلماء من أنّها إسلاميّة، بحجّة أنّ العرب يعدّونها مسألة عربيّة.

وأمثال هؤلاء الحكّام من العرب وغيرهم يطيقون استماع صرخات هؤلاء الشباب والأطفال المحاربين بالحجارة داخل الأرض المحتلة وهتافاتهم: «اللّه أكبر» «نحن مسلمون» ولا أن يروا فى التلفزة صلاتهم حول المسجد الأقصى، لأنّ ذلك سوف يمثل إسلاميّة القضيّة فتأخذ العذر من أيديهم.

ثانياً: حتى العرب أنفسهم الذين احتكروا المسألة بحجّة أنّها عربيّة، وأنّها مسألتهم دون سائر المسلمين لا يتفقون على كلمة واحدة، ولم يجهزوا إمكانياتهم أمام العدوّ، ولم يقفوا صفّاً واحداً، فبدلًا من ذلك كلّه، افترقوا أحزاباً وشعوباً يهاجم بعضهم بعضاً، عسكرياً وإعلامياً، لا شىء إلّا لصالحهم ولصالح العدوّ، فلم يجهزوا أنفسهم للمعركة لا هم ولا سائر المسلمين ولم يمتثلوا أمر ربّهم: «وأعدّوا لهم

ص: ۲۶

ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ اللَّه وعدوّكم»(الأنفال/ ۶۰) فعندهم البترول الذى هو شريان حياة الأعداء، فلم يستفيدوا من هذه القوّة الهائلة التى هى أقوى بكثير من رباط الخيل ومن أى قوّة توجد فى العالم.

كما أنّهم لم يهتموا بقول ربّهم: «يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء»(المائدة/ ۵۱) وما بمعناه فى الكتاب والسنّة.

فمن منهم لا يتّخذ أعداء اللَّه أولياء، ولا يميل إلى اليمين والشمال(وقد سقط بحمد اللَّه) ولا يعتمد ولا يستنصر بالأعداء(سوى النزر اليسير)، ولا يركع لصنم منهم ولا يسجد؟ وبعضهم لا يأكل ولا يشرب إلّابأذنه؟

ومن خفى عليه هذا فليس له الدخول فى المعارك السياسية وإظهار الرأى فيها.

والعجب كلّ العجب صمتُ بعض العلماء عن هؤلاء الحكام الركع السجود أمام الأصنام الطواغيت، ثم ينادى ويحكم بكفر وشرك أولئك المسلمين المساكين، الذين بذلوا كل ما عندهم، وتحمّلوا المشاق، وجاؤوا من كلّ فجّ عميق، حتى نالوا زيارة النبىّ، وقلوبهم ملئت بحبّه، فقبّلوا الباب والشُبّاك حبّاً له، رجاء التقرّب إلى اللَّه بحبّه، ويرون هذا

ص: ۲۷

منتهى أملهم من الحياة، فإذا بعالم أو مسؤول سكت عن ذلك الشرك الكبير وعن هؤلاء الأبالسة الكبار، يضربه بالسياط ويشتمه باللسان، ويكرر عليه: «هذا شرك، هذا كفر»، أليس هذا إبعاد المسلمين المخلصين عن الدين، وعن ساحة القتال مع اليهود ومع سائر أعداء الدين؟ فإنّه إذا كان كافراً ومشركاً فلماذا يضحى بنفسه فى المعركة فى سبيل الإسلام؟

وأنا أقول بصراحة: لو أنّ العلماء ومن وراءهم(بل ومن فوقهم!) الحكّام لم يخطئوا الطريق، واستقروا على الصراط القويم، لأمكن لهم تجهيز الملايين من الشبّان المسلمين الغيارى على الإسلام ضد اليهود، ولو تحقّق هذا الحلم يوماً ما فإنّا نرى أن كلمة اللّه هى العليا، وأنّ اللّه يحقق وعده: «إن تنصروا اللّه ينصركم ويثبّت أقدامكم»(محمّد/ ۷).

ثالثاً: الاستشهاد للصلح مع اليهود بمثل ما صالح النبىّ أهل مكّة والمشركين عجيب فهو قياس مع الفارق، وفيه وجوه من الخلط والتمويه:

۱- إنّ النبىّ صالح أهل مكّة من موقف القوّة دون الضعف كما قال تعالى: «وهو الذى كفّ أيديهم عنكم

ص: ۲۸

وأيديكم عنهم ببطن مكّة من بعد أن أظفركم عليهم، وكان اللّه بما تعملون بصيراً»(الفتح/ ۲۴) مع أنّ حكّام العرب حينما يريدون أن يساوموا على الصلح مع العدو، إنّما هم فى منتهى الضعف(ولا سيّما بعد حرب الخليج) سياسياً وعسكرياً والشيطان الأكبر الحامى لإسرائيل، رست أقدامه على أرضهم بكل ما له من العدّة والعدد، وله حق الحياة والبقاء على جملة من الحكام، فهم عبيد فى قبضته، يحق لهم أن يركعوا ويسجدوا أمامه آناء الليل وأطراف النهار وأنّهم ليبذلون أموال المسلمين ويعرضون شعوبهم المساكين إلى الكفّار بالمجّان، لا لشىء سوى للاحتفاظ على منصبهم، فهم متسلطون على أعناق الشعوب، راكعون أمام الأعداء.

«أُسد علىَ وفى الحروب نعامة». وفى مثل هذه الحالة يريدون أن يجلسوا مع العدوّ حول طاولة المفاوضات للسلام(العادل)!!

ومن الدليل على ضعف المشركين وقوّة المسلمين فى الحديبيّة قول النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم لرسول المشركين عنده(بُدَيلُ بنُ وَرقاءَ الخُزاعِىُّ):

«... إنّ قريشاً قد نَهِكَتْهُم (۱) الحَرْبُ، وأضَرَّت بهم

۱- نهكتهم: بكسر الهاء وفتحها: ضعفتهم.

ص: ۲۹

فإن شاؤوا مادَدْتُهم (۱) مُدَّةً ويُخَلُّوا بَينى وبين الناس... إلى أن قال: وإن هُم أبَوا فَوَالّذى نفسى بِيَدِه لأقاتلَنَّهُم عَلى أمرى هذا حَتّى تَنْفَرِدَ سالِفَتى وَلِيُنَفِذَنَّ (۲) اللَّهُ أمرَه».

وإن مبايعته المسلمين على الحرب والتضحية بالنفس والمال كان استعداداً كاملًا للحرب ثم إن عروة بن مسعود رسول المشركين الآخر لديه حينما رجع إلى المشركين قال لهم: «فَوَاللَّهِ ما تَنَخَّمَ رسولُ اللَّهِ نُخامَةً إلّاوَقَعَتْ فى كَفِّ رَجُلٍ منهم فَدَلَكَ به وجهَهُ وجِلْدَه، وإذا أَمَرَهُم بأمرٍ ابْتَدروا أَمرَه وإذا تَوَضَّأَ كادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلى وُضُوئِه وإذا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أصْواتَهم عِندَه وما يُحِدُّونَ النَّظَرَ إليهِ تَعظيماً لَه، أى قوم، وَاللَّهِ لَقَد وَفَدتُ عَلَى المُلوكِ وَوَفدتُ على قَيْصَر وكِسرَى والنَّجاشِّى، وَاللَّهِ إنْ رأيتُ مَلِكاً يُعظِّمُه أصحابُه ما يُعَظِّمُ أصحابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه و آله و سلم مُحَمَّداً... وإنَّه قَد عَرَضَ عليكم

۱- مادتهم: صالحتهم.

۲- ولينفذنّ: من الإنفاذ بمعنى الإمضاء.

ص: ۳۰

خُطَّةَ رُشْدٍ فَأَقْبَلُوها...» رواه: البخارى وغيره بتفاوت(صحيح البخارى، كتاب الشهادات، باب ما يجوز من الشروط فى الإسلام: ج ۳، ص ۲۵۳- ۲۵۵). وقد أورد المحققون لمسند أحمد مصادر تلك الرواية(انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج ۳۱، ص ۲۴۳، الرقم ۱۸۹۲۸).

۲- إنّ اليهود ليسوا وحدهم الذين يحاربون شعب فلسطين، بل وقف إلى جنبهم طواغيت العالم الذين غرسوا هذه الشجرة الخبيثة فى أرض الإسلام وهم الذين يحاربون الإسلام والمسلمين، فندخل فى الصلح معهم، لأنّهم أقل من المشركين؟

وليس هؤلاء الطواغيت، ولا حتى اليهود الذين استولوا على أرض فلسطين بأهل كتاب، وإنّما هم ملاحدة، دينهم الدولار، وأمنيتهم الاستيلاء على ثروات الأرض، فإنّ اليهود فى فلسطين معظمهم صهاينة ليسوا بأهل كتاب ولا أهل دين، بل هم حزب سياسى عنصرى.

على أنّ اليهود فى العالم يعدّون بعشرات الملايين، وكلّهم مع يهود فلسطين، وبيدهم ثروات هائلة، وفى قبضتهم السوق العالمى والمصانع والسفن والأسلحة، ووسائل الإعلام العالمى؛ فكيف يجوز أن يقال: أنّ اليهود اليوم أقل من أهل مكة فى ذلك اليوم؟

فيجب إذاً أن نضع هذه الأشياء فى الميزان ثم نحكم

ص: ۳۱

بالصلح، وبدونها لم يتحقق صلح عادل.

۳- إنّ الصلح كان مع أهل مكّة بأمر من اللَّه دون مشورة المؤمنين بل أكثرهم قاوموا النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم أمام عقد الصلح وعند بعض بنوده، حتى أنزل اللَّه سورة الفتح وكشف النقاب عن وجه الصلح، وعدّه فتحاً مبيناً، ومع ذلك لم يعترف كثير منهم فى صميم قلوبهم وباقتناع نفسى منهم بأنّه كان خيراً، حتى رأوا النتيجة ماثلة أمامهم بعد مدّة.

۴- كانت هناك حِكَم وأسباب جاءت فى سورة الفتح تصريحاً أو إيماء، كالحفاظ على المؤمنين والمؤمنات القاطنين بمكّة يومئذ الذين لم يعرف أشخاصهم، وكالحصول على الأرضيّة المناسبة لاختلاط المسلمين بالمشركين، وتبيين الإسلام لهم واكتساب قلوبهم صوب المسلمين، وغير ذلك ممّا صرحتم به فى مقالكم، ويعلم بالتدبر فى سورة الفتح وفى الحوادث التى حدثت عقيب الصلح، ولا يوجد شيء من هذه الحِكَم والأسباب فى الصلح مع اليهود الآن، بل الأمر بالعكس كما سنوضح.

۵- اليهود الآن بما أعدوا واستعدّوا للمعركة الحاسمة، معتمدون على تلك القوى العالميّة الشيطانية، قادرون على

ص: ۳۲

أن يقضوا على الشعب الفلسطينى، ومن جاورهم من الشعوب، ولا سيما القاطنين فى أرض الجزيرة العربيّة التى لليهود فيها مطامع تاريخية؛ كأراضى بنى النضير وبنىقريظة وأراضى خيبر وغيرها، فى طرفة عين، ولعلّهم يفعلونها يوماً من الأيّام(لا قدر اللّه هذا اليوم). فهم حينما يفاوضون العرب من أجل السلام، لم يقصدوا السلام، ولم يكن خوفاً من العرب، إنّما يريدون أن يسيطروا على أراضيهم وثرواتهم برفق وبرضاً منهم أو من حكّامهم، ليتدخلوا فى شؤونهم ثقافياً واقتصادياً وسياسياً، فيكونوا أحراراً فيما يعملون فى تلك البقاع، ويتخذوا من تلك الشعوب أداة لبسط سلطانهم عليهم وعلى العالم الإسلامى كلّه، ويتعاملوا معهم معاملة السيد مع عبيده، والملك مع رعيّته طوال الدهر.

ويرون أن الصلح المنشود هو الطريق الوحيد للوصول إلى مطامعهم، حتى أنّهم يمهلون أمر الصلح عمداً، ويسوّفونه قصداً، لإرضاء النفوس شيئاً فشيئاً، حتى يقتنعوا بأنّه لا طريق للخلاص سوى الصلح والسلام.

مع أنّ مثل هذا الصلح هو الرصاصة الأخيرة لسقوط هذه الشعوب ثم لسقوط العالم الإسلامى والمسلمين فى

ص: ۳۳

أيدى اليهود. فأين الصلح العادل؟ ليس هذا سوى الاستسلام المطلق دون السلام العادل.

ثمّ إنّ اليهود، متى التزموا بعهودهم طوال دهرهم وخاصة فى مسألة فلسطين لكى نثق بهم؟ وأخيراً؛ لو فرضنا حصول كل هذه الشروط والقيود، فإنّ الحكّام لا نثق بهم وسوف يتخذون من هذه الفتيا ذريعة لالتباس الأمر على الشعوب، وسيفاوضون العدو فى صالحهم أكثر من صالح الشعوب، وسيكون هذا الحكم من سماحتكم مبدأ شرعية اليهود وشرعية عمل الحكام الذين أجروا عقد الصلح ومفاوضة السلام معهم.

فأيّاكم أن تجعلوا رقبتكم قنطرة لهؤلاء، والصواب هو الاكتفاء منكم بالشطر الأوّل من الفتيا، والإنصراف عن الشطر الثانى رأساً، والمرجو منكم أن تأخذوا هذه السطور بعين الاعتبار، ثم الإجابة عليها، فإنّى ما أردت إلّا الإصلاح ما استطعت، واللّه من وراء القصد، والسلام عليكم ورحمة اللّه.

محمد واعظ زاده الخراسانى

مكّة المكرمة ۱۱ ذى‌الحجة الحرام

سنة ۱۴۱۳ هجرية

ص: ۳۴

ص: ۳۵

أجوبة

رسالة الأستاذ عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز

ص: ۳۶

ص: ۳۷

الشيخ عبدالعزيز بن عبداللَّه بن باز

عن رسالة التبرّك والتوسّل للشيخ محمّد واعظزاده الخراسانى

من عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز إلى حضرة المكرم الشيخ محمد واعظزاده الخراسانى منحنى اللَّه وإياه الفقه فى الدين، وأعاذنا جميعاً من طريق المغضوب عليهم والضالين آمين.

سلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته، أمّا بعد.

فقد وصلنى كتابكم وصلكم اللَّه بحبل الهدى والتوفيق وجميع ما شرحتم كان معلوماً.

وقد وقع فى كتابكم أمور تحتاج إلى كشف وإيضاح، وإزالة ما قد وقع لكم من الشبهة عملًا بقول النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم: «الدين نصيحة» (۱)

وقوله صلى الله عليه و آله و سلم: «من دلّ على خير فله مثل

۱- مسند أحمد: ۵/ ۳۱۸/ ۳۲۸۱ وبهامشه ثبت لمصادر أخرى.

ص: ۳۸

أجر فاعله» (۱)

وغيرهما من الأحاديث الكثيرة فى هذا الباب.

وقد أرشد إلى ذلك مولانا سبحانه فى قوله عزّ وجلّ:

«وتعاونوا على البر والتقوى»(المائدة/ ۳) وقوله سبحانه: «أدع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتى هى أحسن»(النحل/ ۱۲۵).

فأقول: ذكرتم فى كتابكم ما نصّه: «ومع احترامى وتقديرى لجهودكم فى هذا السبيل خطر ببالى بعض الملاحظات، أحببت أن أبديها لكم راجياً أن يكون فيها خير الإسلام والمسلمين، والاعتصام بحبل اللّه المتين فى سبيل تقارب المسلمين، ووحدة صفوفهم فى مجال العقيدة والشريعة».

أوّلًا: لاحظتكم تعبّرون دائماً عن بعض ما شاع بين المسلمين، من التبرك بآثار النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وبعض الأولياء، كمسح الجدران والأبواب فى الحرم النبوى الشريف وغيره،

۱- مسند أحمد: ۲۸/ ۳۱۳/ ۱۷۰۸۴ ومصادر أخرى ثبت فى هامشه.

ص: ۳۹

شركاً وعبادة لغير اللَّه، وكذلك طلب الحاجات منه ومنهم، ودعائهم، وما إلى ذلك.

إنّى أقول: هنا فرق بين ذلك، فطلب الحاجات من النبىّ ومن الأولياء، باعتبارهم يقضون الحاجات من دوناللَّه أو مع اللَّه، فهذا شرك جلىّ لا- شك فيه، لكن الأعمال الشائعة بين المسلمين، والتى لا ينهاهم عنها العلماء فى شتّى أنحاء العالم الإسلامى من غير فرق بين مذهب وآخر، ليست هى فى جوهرها طلباً للحاجات من النبىّ والأولياء، ولا اتخاذهم أرباباً من دون اللَّه، بل مردّ ذلك كلّه(لو استثنينا عمل بعض الجهّال من العوام) إلى أحد أمرين:

التبرّك والتوسّل بالنبىّ وآثاره، أو بغيره من المقرّبين إلى اللَّه عزّ وجلّ.

فالتبرّك بآثار النبىّ من غير طلب الحاجة منه ولا- دعائه، فمنشؤه الحبّ والشوق الأكيد رجاء أن يعطيهم اللَّه الخير بالتقرّب إلى نبيّه وإظهار المحبة له، وكذلك بآثار غيره من المقرّبين عند اللَّه.

وإنّى لا أجد مسلماً يعتقد أن الباب والجدار يقضيان الحاجات، ولا أنّ النبىّ(أو الولىّ) يقضيانها، بل لا يرجو بذلك إلّااللَّه إكراماً لنبيّه أو لأوليائه أن يفيض اللَّه عليه من بركاته.

والتبرّك بآثار النبى كما تعلمون- ويعلمه كلّ من اطّلع على سيرة النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم- كان معمولًا به فى عهد النبىّ، فكانوا

ص: ۴۰

يتبركون بماء وضوئه وثوبه وطعامه وشرابه وشعره، وكلّ شيء منه ولم ينههم النبيّ عنه ولعلّكم تقولون: أجل، كان هذا، معمولًا به بالنسبة إلى الأحياء من الأولياء والأتقياء- كما شاهدت أصحابكم يتبركون بطعامكم- وأنّه خاص بالأحياء، دون الأموات، لعدم وجود دليل على جوازه إلّافي حال الحياة بالذات. فأقول: هناك بعض الآثار تدل على أنّ الصحابة قد تبرّكوا بآثار النبيّ بعد مماته، فعن عبد اللَّه بن عمر- رضى اللَّه عنهما- أنّه كان يمسح منبر النبيّ تبركاً به. وهناك شواهد، على أنّهم كانوا يحتفظون بشعر النبيّ، كما كان الخلفاء العباسيون، ومن بعدهم العثمانيون، يحتفظون بثوب النبيّ تبركاً به، ولا- سيما فى الحروب، ولم يمنعهم أحد العلماء الكبار والفقهاء المعترف بفقههم ودينهم، انتهى المقصود من كلامكم.

والجواب أن يقال: ما ذكرتم فيه تفصيل:

فأمّا التبرك بما مسّ جسده- عليه الصلاة والسلام- من وضوء أو عرق أو شعر ونحو ذلك. فهذا أمر معروف وجائز عند الصحابة- رضى اللَّه عنهم- وأتباعهم بإحسان.

لما فى ذلك من الخير والبركة. وهذا أقرهم النبيّ صلى اللَّه عليه وسلم.

ص: ۴۱

فأمّا التمسح بالأبواب والجدران والشبابيك ونحوها فی المسجد الحرام أو المسجد النبوی، فبدعة لا أصل لها، والواجب ترکها لأن العبادات توقیفیة لا یجوز منها إلّاما أقرّه الشرع لقول النبی صلی اللّه علیه وسلّم: «من أحدث فی أمرنا هذا ما لیس منه فهو رد» (۱) متفق علی صحته. وفی روایة لمسلم، وعلّقها البخاری رحمه الله فی صحیحه جازماً بها:

«من عمل عملًا لیس علیه أمرنا فهو رد» (۲)

.

وفی صحیح مسلم عن جابر رضی الله عنه، قال کان النبیّ صلی اللّه علیه وسلم یقول فی خطبته یوم الجمعة:

«أمّا بعد فإن خیر الحدیث کتاب اللّه وخیر الهدی هدی محمّد صلی اللّه علیه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وکل بدعة ضلالة» (۳)

.

والأحادیث فی ذلک کثیرة. فالواجب علی المسلمین التقید فی ذلک بما شرعه اللّه کاستلام الحجر الأسود وتقبیله،

۱- صحیح مسلم: ۳/ ۱۳۴۳/ ۱۷۱۸.

۲- صحیح البخاری ص ۴۳ فی باب «خلق أفعال العباد» وصحیح مسلم: ۳/ ۱۳۴۴/ ۱۷۱۸. وانظر مصادر أخری للحدیث فی هامش مسند أحمد: ۴۲/ ۶۲/ ۲۵۱۲۸.

۳- صحیح مسلم: ۲/ ۵۹۲/ ۸۶۷(۴۳).

ص: ۴۲

واستلام الركن اليمانى. ولهذا صح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنّه قال لما قبل الحجر الأسود:

«إنّى أعلم أنّك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت النبىّ صلى اللّه عليه وسلم يقبلك ما قبلتك» (۱).

وبـذلك يعلم أن اسـتلام بقيهٔ أركان الكعبهٔ، وبقيهٔ الجدران والأعمدهٔ غير مشـروع لأنّ النبىّ صـلى الله عليه و آله و سـلم لم يفعله ولم يرشد إليه ولأنّ ذلك من وسائل الشـرك وهكذا الجدران والأعمدهٔ والشبابيك وجدران الحجرهٔ النبويهٔ من باب أولى لأن النبىّ صلى اللّه عليه وسلم لم يشرع ذلك ولم يرشد إليه ولم يفعله أصحابه- رضى اللّه عنهم-.

وأمّا ما نقل عن ابن عمر- رضـى اللّه عنهما- من تتبع آثار النبىّ صلى اللّه عليه وسلم واستلامه المنبر فهذا اجتهاد منه رضى الله عنه، لم يـوافقه عليـه أبـوه ولاـ غيره من أصـحاب النـبى صـلى الله عليه و آله و سـلم. وهم أعلم منه بهـذا الأـمر، وعملهم موافـق لمـا دلت عليه الأحاديث الصـحيحهٔ. وقد قطع عمر رضـى الله عنه، الشـجرهٔ التى بويع تحتها النبىّ صـلى اللّه عليه وسلم فى الحديبيهٔ، لما بلغه أنّ بعض الناس يذهبون إليها ويصلون

۱- مسند أحمد: ۱/ ۲۸۲/ ۱۳۱.

ص: ۴۳

عندها خوفاً من الفتنة بها، وسداً للذريعة.

وأمّا دعاء الأنبياء والأولياء والاستغاثة بهم والنذر لهم ونحو ذلك فهو الشرك الأكبر وهو الذى كان يفعله كفار قريش مع أصنامهم وأوثانهم، وهكذا بقية المشركين يقصدون بذلك أنها تشفع لهم عند اللّه، وتقربهم إليه زلفى، ولم يعتقدوا أنها هى التى تقضى حاجاتهم وتشفى مرضاهم وتنصرهم على عدوهم، كما بين اللّه سبحانه ذلك عنهم فى قوله سبحانه: «ويعبدون من دون اللّه مالا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه»(يونس/ ۱۸)، فرد عليهم سبحانه بقوله: «قل أتنبئون اللّه بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عمّا يشركون»(يونس/ ۱۸).

وقال عزّ وجل فى سورة الزمر: «فاعبد اللّه مخلصاً له الدين ألا للّهالدين الخالص، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلّاليقربونا إلى اللّه زلفى، إن اللّه يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون، إن اللّه لا يهدى من هو كاذب كفار»(الزمر/ ۳) فأبان سبحانه فى هذه الآية الكريمة: أنّ الكفار لم يقصدوا من آلهتهم أنهم يشفون مرضاهم، أو يقضون حوائجهم وإنّما أرادوا منهم أنّهم يقربونهم إلى اللّه زلفى،

ص: ۴۴

فأكذبهم سبحانه ورد عليهم قولهم بقوله سبحانه: «إن اللّه لا يهدى من هو كاذب كفار»(الزمر/ ۳) فسماهم كذبة وكفاراً بهذا الأمر.

فالواجب على مثلكم تدبر هذا المقام وإعطاؤه ما يستحق من العناية. ويدل على كفرهم أيضاً بهذا الاعتقاد، قوله سبحانه: «ومن يدعُ من دون اللّه إلهاً آخر لا برهان له به فإنّما حسابه عند ربّه إنّه لا يفلح الكافرون»(المؤمنون/ ۱۱۷) فسماهم فى هذه الآية كفاراً وحكم عليهم بذلك لمجرد الدعاء لغير اللّه من الأنبياء والملائكة والجن وغيرهم.

ويدل على ذلك أيضاً قوله سبحانه فى سورة فاطر:

«ذلكم اللّه ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير* إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير»(فاطر/ ۱۳- ۱۴) فحكم سبحانه بهذه الآية على أنّ دعاء المشركين لغير اللّه، من الأنبياء والأولياء، أو الملائكة أو الجن، أو الأصنام أو غير ذلك بأنّه شرك (۱)، والآيات فى هذا المعنى لمن تدبر كتاب اللّه كثيرة.

۱- من المناسب هنا وفى مقام المقارنة بين عمل المسلمين فى التبرّك والتوسّل وبين عمل المشركين، أن نلفت نظر القراء الكرام إلى عدد من النقاط المهمة، حتّى لا نتهم أحداً أو نَصِف عملًا بالشرك اعتباطاً وبلا دليل:

ص: ۴۵

ص: ۴۶

وننقل لك هنا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى الفتاوى:(ص ۱۵۷، ج ۱) ما نصه:

ص: ۴۷

«والمشـركون الذين وصـفهم اللَّه ورسوله بالشرك أصلهم صنفان: قوم نوح، وقوم إبراهيم. فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصـالحين ثم صوروا تمـاثيلهم، ثم عبـدوهم، وقوم إبراهيم كان أصل شـركهم عبادة الكواكب والشـمس والقمر وكل من هؤلاء يعبـدون الجن، فـإن الشـياطين قـد تخاطبهم، وتعينهم على أشـياء، وقـد يعتقـدون أنهم يعبـدون الملائكـة، وإن كانوا فى الحقيقـة إنّما يعبدون الجن، فإن الجن هم الذين يعينونهم، ويرضون بشركهم، قال اللَّه تعالى: «ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إيّاكم كانوا يعبدون* قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون»(سبأ/ ۴۰- ۴۱).

والملائكـة لاـ تعينهم على الشـر، لاـ فى المحيا ولا فى الممات، ولا يرضون بـذلك، ولكن الشـياطين قـد تعينهم وتتصور لهم فى صور الآدميين، فيرونهم بأعينهم ويقول أحدهم: أنا إبراهيم أنا المسـيح، أنا محمّد أنا الخضـر أنا أبو بكر أنا عمر، أنا عثمان أنا على أنا الشيخ فلان، وقـد يقول بعضـهم عن بعض هـذا هو النبى فلان، أو هـذا هو الخضـر، ويكون اولئك كلهم جنّاً، يشـهد بعضـهم لبعض، والجن كالإنس. فمنهم الكافر، ومنهم الفاسق،

ص: ۴۸

ومنهم العابـد الجاهـل، فمنهم من يحب شـيخاً فيـتزى فى صـورته ويقول: أنـا فلاـن، ويكون ذلـك فى بريـة ومكـان قفر، فيطعم ذلك الشـخص طعاماً ويسـقيه شـراباً أو يدله على الطريق أو يخبره ببعض الأمور الواقعة الغائبة، فيظن ذلك الرجل، أن نفس الشيخ الميت أو الحى فعل ذلك، وقـد يقول: هذا سـر الشـيخ وهذه رقيقته، وهذه حقيقته، أو هذا ملك جاء على صورته، وإنّما يكون ذلك جنّياً، فإنّ الملائكة لا تعين على الشرك والإفك والإثم والعدوان. وقد قال اللَّه تعالى: «قُل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلًا* أولئك الـذين يـدعون يبتغون إلى ربهم الوسـيلة أيّهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عـذابه إن عذاب ربّك كان محذوراً»(الإسراء/ ۵۶- ۵۷) قال طائفة من السـلف: كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء كالعزير والمسـيح، فبينَّ اللَّه تعالى أن الملائكة والأنبيـاء عبـاد اللَّه. كمـا أن الـذين يعبـدونهم عباد اللَّه، وبين أنّهم يرجون رحمته ويخافون عـذابه، ويتقربون إليه كما يفعل سائر عباده الصالحين.

والمشـركون من هؤلاء قد يقولون: إنّا نستشفع بهم، أى نطلب من الملائكة والأنبياء أن يشفعوا، فإذا أتينا قبر أحدهم طلبنا منه أن يشفع لنا فإذا صورنا

ص: ۴۹

تمثاله- والتماثيل إمّا مجسّدة وإمّا تماثيل مصوّرة كما يصورها النصارى فى كنائسهم- قالوا: فمقصودنا بهذه التماثيل نذكر أصحابه، وسيرهم ونحن نخاطب هذه التماثيل ومقصودنا خطاب أصحابها ليشفعوا لنا إلى اللّه فيقول أحدهم: يا سيدى فلان، أو يا سيد جرجس أو بطرس، أو يا ستى الحنونة مريم أو يا سيدى الخليل أو موسى بن عمران أو غير ذلك اشفع لى إلى ربّك.

وقد يخاطبون الميت عند قبره: سل لى ربك، أو يخاطبون الحى وهو غائب كما يخاطبونه لو كان حاضراً حياً وينشدون قصائد بقول أحدهم فيها: يا سيدى فلان أنا فى حبك أنا فى جوارك أشفع لى إلى اللّه، سل اللّه لنا أن ينصرنا على عدونا، سل اللّه أن يكشف عنا هذه الشدّة أشكو إليك كذا وكذا فسل اللّه أن يكشف هذه الكربة، أو يقول أحدهم: سل اللّه أن يغفر لى.

ومنهم من يتأول قوله تعالى: «ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك، فاستغفروا اللّه واستغفر لهم الرسول لوجدوا اللّه تواباً رحيماً»(النساء/ ۶۴). ويقولون: إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة. ويخالفون بذلك الاجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر المسلمين، فإن

ص: ۵۰

أحداً منهم لم يطلب من النبيّ صلى اللّه عليه وسلم بعد موته أن يشفع له، ولا سأله شيئاً، ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين فى كتبهم وإنّما ذكر ذلك من ذكره من متأخرى الفقهاء، وحكوا حكاية مكذوبة على مالك رضى الله عنه، سيأتى ذكرها، وبسط الكلام عليها إن شاء تعالى.

فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفى مغيبهم، وخطاب تماثيلهم، هو من أعظم أنواع الشرك الموجود فى المشركين، من غير أهل الكتاب، وفى مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به اللّه تعالى، قال تعالى: «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به اللّه»(الشورى/ ۲۱).

إلى آخر ما ذكره رحمه الله فى رسالته الجليلة المسماة(القاعدة الجليلة فى التوسل والوسيلة) قد أوضح فيها أنواع الشرك فراجعها إن شئت.

وقال أيضاً رحمه الله فى رسالته إلى أتباع الشيخ عدى بن مسافر ص ۳۱ ما نصّه:

«فصل: وكذلك الغلو فى بعض المشايخ إمّا فى الشيخ عدى، ويونس القنى أو الحلاج وغيرهم، بل الغلو فى على

ص: ۵۱

ابن أبی طالب رضی الله عنه ونحوهم، بل الغلو فی المسیح علیه السلام ونحوه فکل من غلا فی حی أو فی رجل صالح کمثل علیّ رضی الله عنه أو عدی أو نحوه، أو فی من یعتقد فیه الصلاح کالحلاج أو الحاکم الذی کان بمصر أو یونس القنی، ونحوهم وجعل فیه نوعاً من الألوهیّة مثل أن یقول: کل رزق لا یرزقنیه الشیخ فلان ما أریده، أو یقول إذا ذبح شاة باسم سیدی. أو یعبده بالسجود له، أو لغیره أو یدعوه من دون اللّه تعالی مثل أن یقول: یا سیدی فلان اغفر لی أو ارحمنی أو انصرنی أو ارزقنی أو أغثنی أو أجرنی أو توکلت علیک أو أنت حسبی أو أنا فی حسبک أو نحو هذه الأقوال والأفعال التی هی من خصائص الربوبیة التی لا تصلح إلّالله تعالی، فکلّ هذا شرک وضلال یستتاب صاحبة فإن تاب وإلّا قتل. فإنّ اللّه إنّما أرسل الرسل وأنزل الکتب لنعبد اللّه وحده لا شریک له ولا نجعل مع اللّه إلهاً آخر.

والذین کانوا یدعون مع اللّه آلهة أخری مثل الشمس والقمر والکواکب والعزیر والمسیح والملائکة واللات والعزی ومناة الثالثة الأخری ویغوث ویعوق ونسراً، وغیر ذلک لم یکونوا یعتقدون أنّها تخلق الخلائق أو أنّها تنزل المطر أو أنّها تنبت النبات وإنّما کانوا یعبدون

ص: ۵۲

الأنبياء والملائكة والكواكب والجن والتماثيل المصورة لهؤلاء، أو يعبدون قبورهم، ويقولون إنّما نعبدهم ليقربونا إلى اللّه زلفى. ويقولون هم شفعاؤنا عند اللّه، فأرسل اللّه رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة. قال تعالى: «قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلًا* أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيّهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إنّ عذاب ربك كان محذوراً»(الإسراء/ ۵۶- ۵۷).

قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة فقال اللّه لهم: هؤلاء الذين تدعونهم يتقربون إليّ، كما تتقربون ويرجون رحمتى كما ترجون رحمتى ويخافون عذابى كما تخافون عذابى.

وقال تعالى: «قل أدعوا الذين زعمتم من دون اللّه لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير* ولا تنفع الشفاعة عنده إلّالمن أذن له»(سبأ/ ۲۲- ۲۳) فأخبر سبحانه. أن ما يدعا من دون اللّه ليس له مثقال ذرة فى الملك ولا شرك فى الملك وأنّه ليس له فى الخلق عون يستعين به وأنه لا تنفع الشفاعة عنده إلّابأذنه». إلى أن

ص: ۵۳

قال رحمه الله: «وعبادة اللَّه وحده هى أصل الدين، وهو التوحيد الذى بعث اللَّه به الرسل وأنزل به الكتب، فقال تعالى: «واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون»(الزخرف/ ۴۵) وقال تعالى: «ولقد بعثنا فى كلّ أمّة رسولًا أن اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت»(النحل/ ۳۶) وقال تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّانوحى إليه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون»(الأنبياء/ ۲۵).

وكان النبىّ صلى‌اللَّه‌عليه‌وسلم يحقق‌التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل: ما شاء اللَّه وشئت. فقال: «أجعلتنى‌للَّه نداً؟ بل ما شاء اللَّه وحده» وقال: «لا تقولوا ما شاء اللَّه وشاء محمد ولكن ما شاء اللَّه ثم ما شاء محمد» ونهى عن الحلف بغير اللَّه تعالى فقال: «من كان حالفاً فليحلف باللَّه أو ليصمت» وقال: «من حلف بغير اللَّه فقد أشرك» وقال: «لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم وإنّما أنا عبد اللَّه فقولوا عبد اللَّه ورسوله».

ولهذا اتفق العلماء على أنه ليس لأحد أن يحلف بمخلوق كالكعبة ونحوها. ونهى النبى صلى اللَّه عليه وسلم عن السجود له، ولما سجد بعض أصحابه له نهى عن ذلك وقال: «لا يصلح السجود إلّاللَّه» وقال: «لو كنت آمراً

ص: ۵۴

أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» وقال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه: «أرأيت لو مررت بقبرى أكنت ساجداً له؟» قال: لا، قال: «فلا تسجد لى» ونهى النبىّ صلى اللَّه عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد وقال فى مرض موته «لعن اللَّه اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

إلى أن قال رحمه الله:

«ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنّه لا يشرع بناء مساجد على القبور ولا تشرع الصلاة عند القبور، بل كثير من العلماء يقول الصلاة عندها باطلة».

إلى أن قال- رحمه اللَّه تعالى-:

«وذلك إن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كانت تعظيم القبور بالعبادة ونحوها، قال اللَّه تعالى فى كتابه: «وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً»(نوح/ ۲۳) قال طائفة من السلف: كانت هذه الأسماء لقوم صالحين فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم وعبدوها.

ولهذا اتفق العلماء على أن من سلم على النبىّ صلى اللَّه عليه وسلم عند قبره أنّه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها».

ص: ۵۵

انتهى المقصود من كلامه رحمه الله.

وقال العلّامة ابن القيم رحمه الله فى الجواب الكافى:(ص ۱۹۷- ۱۹۸) ما نصّه:

«فصل: ويتبع هذا الشرك الشرك به سبحانه فى الأفعال والأقوال والإرادات والنيات. فالشرك فى الأفعال كالسجود لغيره والطواف بغير بيته وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذى هو يمين اللَّه فى الأرض وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها وقد لعن النبىّ صلى اللَّه عليه وسلم من اتّخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى للَّهفيها، فكيف بمن اتخذ القبور أوثاناً يعبدها من دون اللَّه. ففى الصحيحين عنه صلى اللَّه عليه وسلم أنّه قال: «لعن اللَّه اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وفى الصحيح عنه: «إن من أشرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» وفى الصحيح أيضاً عنه: «إنّ من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك».

وفى مسند الإمام أحمد رضى الله عنه وصحيح ابن حبان عنه

ص: ۵۶

صلى اللَّه عليه وسلم قال: «لعن اللَّه زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج». وقال: «اشتد غضب اللَّه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

وقال: «إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند اللَّه يوم القيامة» فهذا حال من سجد للَّهفى مسجد على قبر فكيف حال من سجد للقبر نفسه، وقد قال النبيّ صلى اللَّه عليه وسلم: «اللهم لا تجعل قبرى وثناً يُعبد» انتهى كلامه رحمه الله.

وبما ذكرنا فى صدر هذا الجواب، وبما نقلناه عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتلميذه العلّامة ابن القيم رحمه الله يتضح لكم ولغيركم من القراء أن ما يفعله الجهال من الشيعة وغيرهم، عند القبور من دعاء أهلها والاستغاثة بهم والنذر لهم والسجود لهم وتقبيل القبور طلباً لشفاعتهم أو نفعهم لِمَن قَبلها، كل ذلك من الشرك الأكبر لكونه عبادة لهم والعبادة حق اللَّه وحده كما قال اللَّه سبحانه: «واعبدوا اللَّه ولا تشركوا به شيئاً»(النساء/ ۳۶) وقال سبحانه: «وما أمروا إلّا ليعبدوا اللَّه مخلصين له الدين حنفاء»(البيّنة/ ۵).

وقال عزّ وجل: «وما خلقت الجن والإنس إلّا

ص: ۵۷

ليعبدون»(الذاريات/ ۵۶) إلى غير ذلك من الآيات التى سبق بعضها.

أمّا تقبيل الجدران، أو الشبابيك أو غيرها، واعتقاد أن ذلك عبادة للّه، لا من أجل التقرّب بذلك إلى المخلوق.

فإنّ ذلك يسمى بدعة لكونه تقرباً لم يشرعه اللّه فدخل فى عموم قول النبىّ صلى اللّه عليه وسلم: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ» (۱)

وفى قوله صلى اللّه عليه وسلم:

«إياكم ومحدثات الأمور فإنّ كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» (۲)

.

وأمّا تقبيل الحجر الأسود، واستلامه واستلام الركن اليمانى فكل ذلك عبادة للّهوحده واقتداء بالنبى صلى اللّه عليه وسلم لكونه فعل ذلك فى حجة الوداع وقال: «خذوا عنى مناسككم» وقد قال اللّه عزّ وجل: «لقد كان لكم فى رسول اللّه أسوة حسنة»(الأحزاب/ ۲۱) الآية.

وأمّا التبرك بشعره صلى اللّه عليه وسلم ووضوئه، فلا حرج فى ذلك كما تقدم لأنّه- عليه الصلاة والسلام- أقر الصحابة عليه ولما جعل اللّه فيه من البركة، وهى من اللّه

۱- صحيح مسلم: ۳/ ۱۳۴۳/ ۱۷۱۸.

۲- مسند أحمد: ۲۸/ ۳۷۳/ ۱۷۱۴۴- ۱۷۱۵ وبهامشه ثبت لمصادر كثيرة.

ص: ۵۸

سبحانه، وهكذا ما جعل اللَّه فی ماء زمزم من البرکة حیث قال صلی اللَّه علیه وسلم عن زمزم إنّها مبارکة وإنّه طعام طعم وشفاء سقم.

والواجب علی المسلمین الاتباع والتقید بالشرع، والحذر من البدع القولیة والعملیة. ولهذا لم یتبرک الصحابة- رضی اللَّه عنهم- بشعر الصدیق رحمه الله، أو عرقه أو وضوئه ولا بشعر عمر أو عثمان أو علی أو عرقهم أو وضوئهم... ولا بعرق غیرهم من الصحابة، وشعره ووضوئه لعلمهم بأن هذا أمر خاص بالنبیّ صلی اللَّه علیه وسلم ولا یقاس علیه غیره فی ذلک، وقد قال اللَّه عز وجل:

«والسابقون الأولون من المهاجرین والأنصار والذین اتبعوهم بإحسان رضی اللَّه عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنّات تجری من تحتها الأنهار خالدین فیها أبداً ذلک الفوز العظیم»(التوبة/ ۱۰۰).

وقال کثیر من الصحابة- رضی اللَّه عنهم-: اتّبعوا ولا تبتدعوا فقد کفیتم.

وأمّا توسل عمر رضی الله عنه والصحابة بدعاء العباس فی الاستسقاء وهکذا توسل معاویة رضی الله عنه فی الاستسقاء بدعاء یزید بن الأسود فذلک لا بأس به لأنّه توسل بدعائهما

ص: ۵۹

وشفاعتهما ولا حرج فی ذلک. ولهذا یجوز للمسلم أن یقول لأخیه: أدع اللَّه لی وذلک دلیل من عمل عمر والصحابهٔ- رضی اللَّه عنهم- ومعاویهٔ رضی الله عنه علی أنّه لا یتوسّل بالنبیّ صلی اللَّه علیه وسلم فی الإستسقاء ولا غیره بعد وفاته صلی اللَّه علیه وسلم ولو کان ذلک جائزاً لما عدل عمر الفاروق والصحابهٔ- رضی اللَّه عنهم- عن التوسل به صلی اللَّه علیه وسلم إلی التوسل بدعاء العباس ولما عدل معاویهٔ رضی الله عنه التوسل به صلی اللَّه علیه وسلم إلی التوسل بیزید بن الأسود وهذا شیء واضح بحمد اللَّه.

وإنّما یکون التوسل بالإیمان به صلی اللَّه علیه وسلم ومحبّته والسیر علی منهاجه وتحکیم شریعته وطاعهٔ أوامره، وترک نواهیه. هذا هو التوسل الشرعی به صلی اللَّه علیه وسلم بإجماع أهل السنهٔ والجماعهٔ وهو المراد بقول اللَّه سبحانه «لقد کان لکم فی رسول اللَّه أسوهٔ حسنهٔ».

وبما ذکرنا یعلم أن التوسل بجاهه صلی اللَّه علیه وسلم أو بذاته من البدع التی أحدثها الناس ولو کان ذلک خیراً لسبقنا إلیه أصحاب النبیّ صلی اللَّه علیه وسلم لأنّهم أعلم الناس بدینه وبحقه صلی اللَّه علیه وسلم ورضی اللَّه عنهم.

وأمّا توسل الأعمی به صلی اللَّه علیه وسلم إلی اللَّه

ص: ۶۰

سبحانه فی رد بصره إلیه فذلک توسل بدعائه وشفاعته حال حیاته صلی اللّه علیه وسلم. ولهذا شفع له النبیّ صلی اللّه علیه وسلم ودعا له.

واللّه المسؤول بأسمائه الحسنی وصفاته العلا أن یمنحنی وإیّاکم وسائر إخواننا الفقه فی دینه والثبات علیه وأن یصلح أحوال المسلمین فی کل مکان وأن یمنحهم الفقه فی الدین وأن یولی علیهم خیارهم ویصلح قادتهم وأن یوفق جمیع حکام المسلمین للفقه فی الدین والحکم بشریعة اللّه سبحانه والتحاکم إلیها وإلزام الشعوب بها والحذر ممّا یخالفها عملًا بقول اللّه عزّ وجل: «فلا وربّک لا یؤمنون حتی یحکّموک فیما شجر بینهم* ثم لا یجدوا فی أنفسهم حرجاً ممّا قضیت ویسلموا تسلیماً»(النساء/ ۶۵) وبقوله سبحانه: «أفحکم الجاهلیة یبغون ومن أحسن من اللّه حکماً لقوم یوقنون»(المائدة/ ۵۰) أنّه سبحانه ولی ذلک والقادر علیه. والسلام علیکم ورحمة اللّه وبرکاته...

مفتی عام المملکة العربیة السعودیة

ورئیس هیئة کبار العلماء وادارة البحوث العلمیة والافتاء

***

ص: ۶۱

تعليقات

اشارة

السيّد حسن بن على السقاف

على أجوبة الشيخ عبدالعزيز ابن باز

حول التبرّك والتوسّل

ص: ۶۲

ص: ۶۳

تعليق على الرسالتين

الأستاذ حسن بن على السقاف (۱)

الحمد للّه‌رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضى اللّه عن صحابته المتقين.

أما بعد: فقد قرأت ذلك الكتيب الذى حوى رسالتين: إحداهما لفضيلة الشيخ العلّامة محمد واعظ زاده الخراسانى والثانية للشيخ العلّامة بن باز، وكان الشيخ

۱- الاستاذ حسن بن على السقّاف، شافعى المذهب، وُلد فى سنة ۱۹۶۱ م فى الأردن وله نحو ثمانين مؤلّفاً منه «صحيح شرح العقيدة الطحاويّة»، «عقيدة أهل السنّة والجماعة»، «الإغاثة بأدلّة الاستغاثة»، «بهجة الناظر فى التوسل بالنّبى الطاهر»، «تناقضات الألبانى الواضحات» و... انظر: seyed

ص: ۶۴

واعظزاده الخراسانی قد بدأ فوجّه رسالة إلی الشیخ بن باز ناقشه بأدب جم فی قضیتین:

الأولی: قضیة التعبیر فی مسألة التوسل والاستغاثة واستلام الجدران والأبواب بأنّها وسیلة للشرک.

الثانیة: فی قضیة إفتاء الشیخ بن باز بجواز الصلح مع الیهود!!

وقد أرسل فضیلة الخراسانی رسالته للشیخ بن باز سنة ۱۴۱۳ ه ولم یجب علیها الشیخ بن باز إلّابعد سنتین وبضعة أشهر بعد أن نشر الشیخ الخراسانی رسالته!! فأجاب الشیخ بن باز علی القضیّة الأولی وسکت عن الثانیة فلم یجب علیها!! وقد طبعت الرسالتان ووصلتنی نسخة منها، وبعد قراءتها أحببت التعلیق والتعقیب علی بعض ما جاء فی رسالة الشیخ ابن باز، واللّه الهادی إلی الصواب:

فأقول:

أقرّ فضیلة الشیخ بن باز فی مقدّمة کلامه بعد أن ذکر شیئاً من کلام فضیلة الشیخ الخراسانی أن التبرک بما مسّ جسده- علیه الصلاة والسلام- من وضوء أو عرق أو شعر أو نحو ذلک أمر معروف وجائز عند الصحابة رضی اللّه

ص: ۶۵

تعالى عنهم وأتباعهم.

وأقرّ أيضاً بأنّ استلام الحجر الأسود وتقبيله واستلام الركن اليمانى كذلك.

وهنا ننبه على شيئين:

الأوّل: أنّه بذلك ثبت إقراره بأن التمسح بالحجارة فى هذين الموضعين دون غيرهما والتى وصفها بأنّها لا تضر ولا تنفع هو إقرار بقاعدة عظيمة وهى أنّ التمسح والتبرك إذا لم يقترن معه اعتقاد تأثير الممسوح والمستلَم لم يكن شركاً ولا كفراً ولا بدعة ولا يجب سد الذريعة فيها!! ولا يتحوّل ذلك إلى كفر وشرك إلّاإذا قارن ذلك أن أضيف له اعتقاد التأثير، أى الضر والنفع!!

وهنا نسأل الشيخ بن باز مؤكدين هذه القضية: هل تعتبر شرعاً من استلم هذين الحجرين معتقداً أنّهما يضران وينفعان من دون اللّه تعالى ويؤثران بنفسهما كافراً مشركاً أم لا؟

ثم يثبت بإقراره الأوّل المتقدّم أن مسح الشيء ليس كفراً إن كان مشروعاً لكن هو بدعة ومن وسائل الشرك إن لم يكن مشروعاً.

والأمر الثانى: أنّه عبّر عن التبرك بما مسّ جسده

ص: ۶۶

الشريف صلى الله عليه و آله و سلم بأنّه أمر معروف و جائز عندالصحابة- رضى اللّه عنهم- وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأستغرب أنا من هذا التعبير!!(عند الصحابة ومن تبعهم بإحسان) وكان اللائق أن يقول:(إنّه معروف وجائز شرعاً) لا سيما وأن فى الصحابة من يخالف ذلك كما اعترف الشيخ وأقر بذلك فى سيدنا ابن عمر- رضى اللّه تعالى عنهما- حيث كان يستلم منبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم!!

وقول الشيخ:(لم يوافقه عليه أبوه ولا غيره) غير صحيح، إذ لم يثبت نهى أبيه له أو نهى الصحابة- رضى اللّه عنهم- له عن فعله ذلك (۱)!! ثم لم يثبت ما أورده الشيخ من أن سيدنا عمر رضى الله عنه قطع الشجرة(شجرة بيعة الرضوان) بل المعروف عند علماء السلف ومنهم ابن جرير الطبرى أن سيدنا عمر رضى الله عنه ذهب يسأل عنها ولم يجدها!! ففى تفسير الإمام الحافظ الطبرى السلفى(۱۳/ ۸۷) عند تفسير الآية الكريمة التى ذكرت فيها الشجرة فقال:

۱- بل تدلّ بعض الروايات على أنّ نفراً من الصحابة غير عبد اللّه مسحوا رُمانةالمنبر ودعوا، أخرج ابن أبى شيبة(ج ۳، ص ۱۴۳۵، الرقم ۱۵۸۷۶) بسنده عن يزيد بن عبد الملك بن قسيط قال: «رأيتُ نفراً من أصحاب النبىّ صلّى اللّه عليه وسلّم إذا خلا لهم المسجد قاموا إلى رُمانة المنبر القرعا فمسحوها ودعوا، قال: ورأيت يزيد يفعل ذلك».

ص: ۶۷

«وزعموا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة، فقال: أين كانت، فجعل بعضهم يقول هنا، وبعضهم يقول هاهنا، فما كثر اختلافهم قال: سيروا هذا تكلّف، فذهبت الشجرة وكانت سمراء، إمّا ذهب بها سيل وإما شيء سوى ذلك».

فلو كان سيدنا عمر رضى الله عنه قطعها لما قيل ذلك ولما خفى الأمر على مثل الحافظ ابن جرير ولكان نبّه عليه!!

وعلى كل الأحوال؛ فالأصل فى ذلك ليس فعل الصحابة، وإنّما هو نصوص الشرع؛ القرآن والسنة، وهى تفيد أن ذلك ليس كفراً ولا شركاً بدليل جواز التمسح أو استلام الحجر الأسود والركن اليمانى والملتزم.

وقد سئل الإمام أحمد كما هو ثابت فى كتاب «العلل»(كتاب العلل ومعرفة الرجال: ج ۲، ص ۴۹۲، الرقم ۳۲۴۳) المروى عنه عن تقبيل قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وتقبيل منبره فقال: لا بأس بذلك (۱).

۱- والسائل ابنه عبد اللَّه قال: «سألته عن الرجل يمس منبر النبىّ صلّى اللَّه عليه وسلّم ويتبرّك بمسّه ويقبّله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرّب إلى اللَّه جلّ وعزّ، فقال: لا بأس بذلك»(كتاب العلل: ج ۲، ص ۴۹۲، الرقم/ ۳۲۴۳). وقال العينى عن شيخه زين‌الدين أخبر الحافظ أبوسعيد ابن العلائى قال رأيت فى كلام أحمد بن حنبل فى جزء قديم عليه خط ابن ناصر و غيره من الحفاظ أنّ الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبى صلى الله عليه و سلم وتقبيل منبره فقال لا بأس بذلك(عمدة القارى، ج ۹، ص ۲۴۱، كتاب الحج، باب ما ذكر فى الحجر الاسود.

ص: ۶۸

وأنتم تعلمون ذلك!!

فلو كانت هذه الأمور ذرائع للشرك والكفر لما شُرِع استلام الحجر الأسود وتقبيله ولا الركن اليمانى ولا التبرك بعرق النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وشعره وثوبه وغير ذلك، إذ يستحيل شرعاً وعقلًا أن لايكون فىهذه الأمور شرك أوذريعة للشرك وفى غيرها شرك!!

وقول الشيخ بن باز:

«وأما ما نقل عن ابن عمر- رضى اللَّه عنهما- من تتبع آثار النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم واستلامه المنبر فهذا اجتهاد منه رضى الله عنه، لم يوافقه عليه أبوه ولاـ غيره من أصحاب النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وهم أعلم بهذا الأمر وعملهم موافق لما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة. وقد قطع عمر رضى الله عنه، الشجرة التى بويع تحتها النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فى الحديبية لما بلغه أن بعض الناس يذهبون إليها ويصلّون عندها خوفاً من الفتنة وسداً للذريعة».

ص: ۶۹

فهذا القول غير صحيح من أوجه:

منها: أنّ ابن عمر مجتهـد، وأبوه عمر مجتهـد أيضاً- رضـى اللّه تعالى عنهما- وقول المجتهد لا ينقض بقول مجتهد آخر كما هو مقرر فى علم الأصول!!

ثم هـذا على فرض صـحة ثبوت عـدم موافقـة سـيدنا عمر لما فعله ابنه، وهـذا لم يثبت!! على أنّ الحافظ ابن حجر أجاب على هذا على فرض ثبوته إذ قال:

«لأـن ذلـك من عمر محمول على أنّه كره زيـارتهم لمثل ذلك بغير صـلاة أو خشـى أن يشـكل ذلك على من لا يعرف حقيقـة الأمر فيظنه واجباً، وكلا الأمرين مأمون من ابن عمر... فهو حجة فى التبرك بآثار الصالحين» (۱).

وما كتبه المعلق هناك على ذلك الكلام هو محض اجتهاد لا يصـمد أمام النصوص التى ستأتى بعد قليل إن شاء اللّه تعالى فى الكلام على أسطورة قطع سيدنا عمر للشجرة!!

هذا؛ ولم يثبت أن سيدنا عمر وغيره من الصحابة- رضى اللّه عنهم- لم يوافقوا ابن عمر على ما فعله البتة

۱- الفتح: ۱/ ۵۶۹.

ص: ۷۰

وهو محض تقوّل لا دليل عليه ونحن نطالب الشيخ ببيان ذلك!! وإن لم يجب ولم يتبيّن بأنّ ذلك ثابت بسند صحيح لا علة له، تبيّن صحّة قولنا بعدم ثبوت ذلك عنه! وإذا ثبت ذلك فإنّه لا ينقض اجتهاد سيدنا ابن عمر لا سيّما والأدلّة الشرعية والعقل السليم موافق لما فعل ابن عمر- رضى اللّه عنه وعن أبيه-!! فيكون بين الصحابة خلاف فى ذلك!! فلا يكون ذلك كفراً ولا ذريعة للشرك والكفر؛ بل ليس ذلك ببدعة طالما أن له دليلًا وعمل به الصحابة والسلف وأفتى الإمام أحمد بأنّه لا بأس به!!

وإننى هنا لا أودّ عرض جميع النصوص التى تثبت متابعة ابن عمر وإثبات التبرك عن غيره من الصحابة واستقصاء ذلك!! بل أكتفى أن أقول: بأن الدارمى روى فى «سننه» (۱) بسند صحيح عن أبى الجوزاء أوس بن عبد اللّه قال:

«قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة فقالت:

انظروا قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فاجعلوا منه كوىً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا، فمطرنا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من

۱- ج ۱، باب «ما أكرم اللّه نبيّه صلى اللّه عليه وسلّم بعد موته، ص ۴۳.

ص: ۷۱

الشحم فسمى عام الفتق» (۱).

أمّا قوله:(وقد قطع عمر رضى الله عنه الشجرة... وسداً للذريعة) فهذا غير صحيح ولا ثابت!! وذلك لأن هذه القصّة رواها ابن سعد فى «الطبقات الكبرى» (۲) عن نافع، وإسنادها صحيح إلى نافع كما قال ابن حجر فى «الفتح» (۳) لكنها منقطعة بين نافع وسيدنا عمر!! لأن نافعاً لم يدرك سيدنا عمر ولم يرو عنه، وقد صرّح الحافظ ابن حجر فى «تهذيب التهذيب» (۴) فى ترجمة نافع أن الإمام أحمد بن حنبل قال:

«نافع عن عمر منقطع».

۱- إسناده صحيح، أبو النعمان هو محمد بن الفضل السدوسى الملقب بعارم، إمام ثقة، قال الدارقطنى: لم يظهر له بعد اختلاطه حديث منكر. وسعيد بن زيد: ثقة، قال ابن معين وابن سعد والعجلى وسليمان بن حرب: ثقة، وقال البخارى والدارمى: صدوق حافظ. وصحح له ابن القيم فى كتاب «الفروسية» ص(۲۰) وقال صديقكم الألبانى عنه فى «إرواء الغليل»(۵/ ۳۳۸): «لا ينزل به حديثه عن رتبة الحسن إن شاء اللّه تعالى». وعمرو بن مالك النكرى ثقة، أنظر «تناقضات الألبانى الواضحات»(۲ / ۷۰).(هذا التعليق من الشيخ السقاف).

۲- ۲/ ۱۰۰.

۳- ۷/ ۴۴۸.

۴- ۱۰/ ۳۷۰.

ص: ۷۲

وقد توفى نافع سنة ۱۲۰ ه وهذا ممّا يؤكد أنّه لم يدرك ذلك. وكان ينبغى له أن يصرح بذكر اسم شيخه فى هذه الرواية!! وكان أحياناً يجتهد فى إبداء بعض الآراء ويخطئ فى ذلك كما سيتبين بعد قليل إن شاء اللّه تعالى. ونحن وإن صححنا السند إلى نافع فإنّه لا بدّ من التنبيه على أن فى سند هذه القصة عبد الوهاب بن عطاء، وليس هو بالقوى عند أبى حاتم وغيره كما يجد ذلك من يطالع ترجمته فى مثل «تهذيب الكمال» (۱) وغيره.

فالمعروف المقرر عند أهل الحديث أن مثل هذا القول المنقطع ليس بحجّة!! لا سيّما وقد صرّح بعض الحفاظ كالإسماعيلى بأن هذا ومثله هو من قول نافع ولا يعتبر مسنداً (۲) ولا- سيما قد ثبت عنه وعن سيدنا ابن عمر ما يخالفه!! كما ثبت عن غير سيدنا ابن عمر بإسناد صحيح ماهو ضده أيضاً!!

أمّاثبوت مايخالف هذاعنه: فروى ابن سعد (۳) قال:

«أخبرنا على بن محمد عن جويرية بن أسماء عن نافع

۱- ج ۱۸/ ۵۰۹، رقم ۳۶۰۵.

۲- أنظر «الفتح»(۶/ ۱۱۷/ ۲۹۵۸) وشرح ذلك ص(۱۱۸) هناك.

۳- ۲/ ۱۰۵.

ص: ۷۳

قال: خرج قوم من أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم بعد ذلك- أى بعد نزول الآية التى ذكرت فيها الشجرة- بأعوام فما عرف أحد منهم الشجرة واختلفوا فيها، قال ابن عمر:

كانت رحمة من اللَّه».

فهذا النص يبين أنّهم لم يكونوا يعرفونها بعد ذلك، فكيف يقطع سيدنا عمر ما ليس بمعلوم ولا معروف؟! ولو فرضنا أنّه قطع شجرة- وليس هذا بصحيح ولا ثابت- فمعناه أنّه قطع شجرة أخرى ادّعى بعض الناس أنّها شجرة بيعة الرضوان ويؤكد ما قررناه ويبطل أسطورة قطع سيدنا عمر للشجرة ما رواه نافع نفسه بسند صحيح عنه عن عبد اللَّه بن عمر!!

فقد روى البخارى فى «الصحيح» من طريق نافع قال: قال ابن عمر:

«رجعنا من العام المقبل، فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها، كانت رحمة من اللَّه، يقول راوى الحديث: فسألنا نافعاً على أى شىء بايعهم، على الموت؟ قال: لا، بل بايعهم على الصبر» (۱).

۱- ۶/ ۱۱۷/ ۲۹۵۸.

ص: ۷۴

أقول: أما قوله فی هذا الأثر:(رجعنا) یعنی هو وبعض الصحابهٔ الآخرین ومنهم المسیب والد سعید بن المسیب حیث جاء عنه کما فی البخاری أن سعیداً قال:

«حدثنی أبی أنّه کان فیمن بایع رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم تحت الشجرهٔ قال: «فما رجعنا من العام المقبل نسیناها فلم نقدر علیها» (۱).

وفی الروایهٔ الأخری:

«فرجعنا إلیها العام المقبل فعمیت علینا».

وهذا فی حیاهٔ النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم وقبل خلافهٔ سیدنا عمر بدهر طویل، وتقدّم نقلًا من تفسیر الحافظ ابن جریر: أنّ عمر بن الخطاب مرّ بذلک المکان بعد أن ذهبت الشجرهٔ، والظاهر أن ذلک کان فی خلافته فقال:

«أین کانت؟ فجعل بعضهم یقول هنا: وبعضهم یقول:

هاهنا، فلمّا کثر اختلافهم قال: سیروا هذا تکلّف، فذهبت الشجرهٔ وکانت سمراء؛ إمّا ذهب بها سیل وإمّا شیء

۱- ۷/ ۴۴۷/ ۱۶۳ و ۴۱۶۴.

ص: ۷۵

سوى ذلك» (۱).

فكيف بعد هذا يقال: إنّ سيدنا عمر قطعها، أى فى خلافته؟!!!

وأمّا قول ابن عمر:(كانت رحمة من اللّه) فيه قولان ذكرهما فى «الفتح» الصحيح منهما عندنا للقرائن هو قوله هناك:

«ويحتمل أن يكون معنى قوله: رحمة من اللّه، أى: كانت الشجرة موضع رحمة اللّه ومحل رضوانه لنزول الرضا عن المؤمنين عندها» وهذا لا شك فيه (۲)!!»

وقوله:(فسألنا نافعاً على أى شىء بايعهم... قال: بل بايعهم على الصبر) مردود وغير صحيح البتة!! لأن البخارى روى بعد هذا حديثين أثبت فيهما تصريح صحابيين بأنّهم كانوا يبايعون على الموت!!

فيدلّ هذا على أن مالم يسنده نافع لا حجة فيه، وهذا أوضح مثال على ذلك فتدبّر!! لا سيّما وأن البخارى والأئمة لم يعوِّلوا على ما ينقل بإسناد منقطع عن سيدنا عمر، بل

۱- ۱۳/ ۸۷.

۲- ۶/ ۱۷۱.

ص: ۷۶

قاموا بسرد كثير من الأحاديث والآثار المروية عن ابن عمر والتى كان يتتبع فيها المواضع التى كان قد صلى النبىّ فيها ليصلى فيها، ثم جاء سالم بن عبد اللّه بن عمر بعد ذلك فاقتدى بأبيه، فكان يتتبع المواضع التى صلى فيها أبوه وأخبره أن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم كان يصلى فيها!! ولو كان قد ثبت عن عمر شىء فى هذا لأورده وهو والدهم مع كون اجتهاده لا ينقض اجتهادهم!! وقد عقد البخارى فى «صحيحه» (۱) باباً سمّاه:(باب المساجد التى على طرق المدينة والمواضع التى صلى فيها النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم) أورد فيه تسعة نصوص تدل على أن هذا التبرك والتتبع هو مذهب الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين!! وليس كما يقول المعلّق على «الفتح» (۲) فى الحاشية هناك بكل جرأة غريبة من أن ذلك من ذرائع الشرك!! كبرت كلمة لا دليل عليها لا سيما وأن فيها تسفيه صريح لفعل الصحابة والتابعين والأئمة ونبذ أقوالهم وأفعالهم لرأى ليس له دليل معتبر وإنّما هو قائم على الخيالات والأوهام البعيدة عن النصوص الثابتة الشرعيّة!! لا سيما والحافظ ابن حجر يقول هناك:

«وقد تقدّم حديث عتبان وسؤاله النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم أن يصلّى فى بيته ليتخذه مصلّى وإجابة النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم إلى ذلك، فهو حجة

۱- ۱/ ۵۶۷/ ۴۸۳- ۴۹۱.

۲- ۱/ ۵۶۹.

ص: ۷۷

فی التبرک بآثار الصالحین» (۱).

وقد ذکر الحافظ نحو هذا الکلام أیضاً فی «الفتح» (۲) وحاول أن یرد علیه المعلّق هناک بکلام لا دلیل علیه وإنّما یقوم علی الرأی المخطئ الصریح!!

وقد روی البخاری عن موسی بن عقبة أنّه قال:

«رأیت سالم بن عبد اللّه یتحرّی أماکن من الطریق فیصلّی فیها ویحدّث أن أباه کان یصلی فیها، وأنّه رأی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم فی تلک الأمکنة» (۳).

وبذلک یتلخص أن قضیة قطع سیدنا عمر لشجرة بیعة الرضوان غیر صحیحة ولا یتصوّر أن یفعل ذلک سیدنا عمر رضی الله عنه، ویثبت بما قدمناه أن من الأمور المستحبة عند الصحابة رضی‌اللّه عنهم أیضاً استلام الأشیاء المتعلّقة بالأنبیاء والصالحین وأنّها لیست من الشرک فی شیء.

ثم ذکر الشیخ بن باز أن دعاء الأنبیاء والأولیاء والاستغاثة بهم من الشرک الأکبر!!

۱- ۱/ ۵۶۹ الفتح.

۲- ۱/ ۵۲۲.

۳- ۱/ ۵۶۷/ ۴۸۳.

ص: ۷۸

وأقول: لنا رسالة مستقلة فی هذا الموضوع أسميناها «الأغاثة بأدلّة الاستغاثة» أثبتنا فيها جواز الاستغاثة بالأحاديث والآثار الصحيحة الثابتة وأن ذلك ليس شركاً ولا كفراً!! ومن ذلك ما رواه البخاری فی «صحيحه» عن ابن عمر- رضی اللّه عنهما- قال: قال رسول اللّه صلی الله عليه و آله و سلم.

«إنّ الشمس تدنو يوم القيامة حتی يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلك إذ استغاثوا بآدم ثم بموسی ثم بمحمد فيشفع ليقضی بين الخلق» (۱).

قال الحافظ ابن حجر عند شرح مثل هذا الحديث فی «الفتح»:

«وفيه: إنّ الناس يوم القيامة يستصحبون حالهم فی الدنيا من التوسل إلی اللّه فی حوائجهم بأنبيائهم» (۲).

وقد ثبت أيضاً فی البخاری (۳) وغيره أن الناس يلجأون إلی النبیّ صلی الله عليه و آله و سلم عند القحط ليدعو اللّه له فی إنزال الغيث، ولم يقل لهم النبیّ صلی الله عليه و آله و سلم إن المطر بيد اللّه وليس بيدی

۱- ۳/ ۳۳۸/ ۱۴۷۴.

۲- ۱۱/ ۴۴۱/ ۶۵۷۱.

۳- ۲/ ۵۰۱/ ۱۰۱۳.

ص: ۷۹

وعليكم أن تدعو اللَّه أنتم لقوله تعالى: «وإذا سألك عبادى عنّى فإنّى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان» (۱)

.

فإذا قال الشيخ:(بأن هذا توسل واستغاثة بالحى وكلامنا فى الميت)!!

قلنا: الجواب على هذا من وجهين:

الأوّل: إنّ الشرك شرك؛ سواء كان فى الدنيا أو فى الآخرة، وسواء كان المستغاث أو المتوسّل به إلى اللَّه تعالى حيّاً أو ميتاً، لأن الكفر كفر فى جميع الأحوال طالما أنّك لا تنظر إلى الاعتقاد والنية والقصد!! وعمومات مثل هذه النصوص تكفى أن تشمل الاستغاثة بالنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم قبل وفاته وبعد وفاته وفى الآخرة!!

الثانى: أنّه قد ثبتت نصوص غير هذه تثبت الاستغاثة به صلى الله عليه و آله و سلم بعد وفاته (۲)، فحديث الدارمى الصحيح

۱- البقرة/ ۱۸۶.

۲- ولعلّ هذا الأمر كان سائداً بين الصحابة، فقد كانوا يأتون قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم يبثون شكاواهم وأحزانهم عنده، كما كانوا يفعلوه والنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم حىّ بين ظهرانيهم، فقد أخرج الحاكم فى المستدرك(باب الفتن والملاحم: ج ۴، ص ۱۲) بسند صحيح على شرط الشيخين وأقرّه الذهبى فى تلخيصه عن داود بن أبى صالح، قال: «أقبل مروان يوماً فوجد رجلًا واضعاً وجهه على القبر فأخذ برقبته وقال: أتدرى ما تصنع، قال: نعم، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيّوب الأنصارى رضى الله عنه، فقال: جئت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم ولم آت الحجر، سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله».

ص: ۸۰

الـذى تقـدّم فى مسألة التبرك وفتح الكوى وإمطارهم، وما رواه ابن أبى شـيبة بإسـناد صـحيح كما تعلمون (۱) فيمـا ذكره الحافظ ابن حجر فى «الفتح» من رواية أبى صالح السمان عن مالك الدار الذى كان خازن سيدنا عمر رضى الله عنه حيث قال:

«أصـاب النـاس قحـط فى زمن عمر فجـاء رجل إلى قبر النبىّ صـلى الله عليه و آله و سـلم فقال: يا رسول اللّه اسـتسق لأمتك فإنّهم قد هلكوا...» (۲).

وقد أقرّه سيدنا عمر ولم ينكر عليه أحد من الصحابة، فصارت المسألة جائزة على الإجماع السكوتى!! فلو كان ذلك شركاً أو كفراً لما وسع سيدنا عمر والصحابة- رضى اللّه عنهم- السكوت والإقرار على ذلك!!

وليس المقام هنا مقام حصر للأدلّة، ومن أراد أن يتتبعها فعليه برسالتنا «الإغاثة» وغيرها من كتب

۱- المصـنّف: ج ۶/ ۳۵۹، الرقـم ۳۱۹۹۳. فعلى هـذا مـا قاله ابن تيميـة ونقل‌عنه الشـيخ بن باز بأن هـذه الروايـة حكايـة مكذوبـة ليس بصحيح.

۲- ۲/ ۴۹۵.

ص: ۸۱

أهل العلم!! لكن يكفى أن أقول هنا أن إمام الشيخ ابن باز وهو الإمام أحمد بن حنبل جوّز الاستغاثة بغير اللَّه تعالى:

فقد روى الإمام الحافظ البيهقى فى «شعب الإيمان» (۱) وابن عساكر من طريق عبد اللَّه ابن الإمام أحمد، بإسناد صحيح اعترف بصحته حتى الألبانى المتناقض!! فى ضعيفته (۲) وهو فى كتاب «المسائل» لعبد اللَّه ابن الإمام أحمد قال: سمعت أبى يقول:

«حججت خمس حجج منها ثنتين راكباً وثلاثة ماشياً، أو ثنتين ماشياً وثلاثة راكباً، فَضَلَلْتُ الطريقَ فى حجة وكنت ماشياً فجعلتُ أقول: يا عباد اللَّه دلّونا على الطريق، فلم أزل أقول ذلك حتى وقعتُ على الطريق» (۳).

وهذا تطبيق لحديث سيّدنا عبداللَّه بن مسعود رضى الله عنه المرفوع:

«إذا ضلّ أحدكم شيئاً أو أراد غوثاً وهو بأرض ليس بها

۱- ج ۶، ص ۱۲۸، الرقم ۷۶۹۷.

۲- ۲/ ۱۱۱.

۳- ۲۱۷.

ص: ۸۲

أنيس فليقل: يا عباد اللَّه أغيثونى، يا عباد اللَّه أغيثونى، فإنّ للَّهعباداً لا نراهم» (۱).

وهذه استغاثة صريحة بغير اللَّه تعالى!! وللحديث عدّة ألفاظ تجدها فى رسالتنا «الإغاثة» (۲).

وقد نص جماعة من أهل الحديث على أن ذلك جرّب فتحقق، منهم:

الحافظ الطبرانى عقب روايته لهذا الحديث (۳)، والحافظ الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (۴) والإمام النووى فى «الأذكار» (۵) وذكر أنّ بعض شيوخه الكبار فعل ذلك (۶)، وقد حسّن هذا الحديث الحافظ ابن حجر فى «أمالى الأذكار» (۷)

۱- ولحديث شاهد من حديث ابن عباس، أخرجه الحافظ البيهقى فى شعب الإيمان(ج ۶، ص ۱۲۸، الرقم ۷۶۹۷).

۲- ص ۲۲.

۳- ورواه الطبرانى بسنده عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم انظر:(المعجم الكبير: ج ۱۷، ص ۱۱۷- ۱۱۸، الرقم ۲۹۰).

۴- ۱۰/ ۱۳۲.

۵- ص ۲۱.

۶- وبعض آخر كالشوكانى فى «تحفة الذاكرين»(ص ۴۶) وابن الجزرى فى «الحصن الحصين»(انظر: تعليق على سير أعلام النبلاء: ج ۱۰، ص ۱۰۷).

۷- أنظر شرح العلامة ابن علان على الأذكار(۵/ ۱۵۱).

ص: ۸۳

وقال: هو مجرب (۱) واعترف بحسنه الألبانی فی ضعیفته حیث قال هناک:

«وبعد کتابة ما سبق وقفت علی إسناد البزار فی «زوائده»... قلت: وهذا إسناد حسن کما قالوا...» (۲).

وهذا کلّه وغیره کثیر یثبت أن ما ذکره الشیخ بن باز من قوله: إنّ ذلک شرک أکبر، لیس بصحیح!! بل لیس شرکاً أصغر، وإنّما هو من الأمور المستحبات التی وردت فی الأحادیث الثابتة واستعملها السلف الصالح!! لکن أباها الشیخ هداه اللّه تعالی!!

وأُذکّر القارئ هنا بأن الحافظ المحدث الذهبی نقل عبارات عدیدة عن السلف تفید بکل صراحة بأن هذه الأمور لیست شرکاً بل هی من الأمور المشروعات أو المستحبات، فمن ذلک قول الذهبی فی «سیر أعلام النبلاء» قال إبراهیم الحربی:

۱- انظر: شرح العلّامة ابن علان(الفتوحات الربانیة علی الأذکار النواویة: ج ۵، ص ۱۵۱).

۲- ۲/ ۱۱۱.

ص: ۸۴

«قبرُ معروفٍ الترياقُ المجرَّب. يريد إجابة دعاء المضطر عنده لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء» (۱).

وقال الذهبى فى «السير» أيضاً فى ترجمة السيدة نفيسة:

«والدعاء مستجاب عند قبرها، بل وعند قبور الأنبياء والصالحين» (۲).

أمّا الآيات الكريمة التى أوردها الشيخ فإنّها لا تدل على ما يريد!! وذلك لأنّه ليس كل دعاء عبادة ومعنى حديث «الدعاء هو العبادة» أى دعاء اللّه تعالى من جملة عبادة اللّه أو من أعظم العبادات كما قال ذلك المناوى فى «الفيض» (۳)!! لا أن كل دعاء عبادة البتة!!

وتدل على ذلك النصوص مثل قوله تعالى: «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً» (۴)

وقد توسعت فى شرح ذلك وبيانه و ما يتعلّق به فى كتابى «التنديد بمن عدّد التوحيد» (۵) فليراجع!!

۱- ۹/ ۳۴۳.

۲- ۱۰/ ۱۰۷.

۳- ۳/ ۵۴۰.

۴- النور/ ۶۳.

۵- ۳۰/ ۴۲.

ص: ۸۵

والعجب أن الشيخ أورد قوله تعالى: «ويعبدون من دون اللَّه مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند اللَّه...» (۱)

وأن اللَّه تعالى ردّ عليهم!!

وأقول مجيباً: لا يمكن تطبيق هذه الآية على المسلمين المؤمنين الموحدين (۲) الذين يتوسلون ويستغيثون

۱- يونس/ ۱۸.

۲- بل لا يجب أبداً تطبيق أيّ من الآيات الصادرة حول المشركين، على المؤمنين وعقائدهم؛ لأنّه لا يمكن أبداً مقارنة ما يتوهّمه المشركون مع عقائد المؤمنين الحقّة، ومن جملتها:

ص: ۸۶

ص: ۸۷

بالنبيّ صلى الله عليه و آله و سلم وغيره من عباد اللَّه الصالحين!! وذلك لأن معنى الاستغاثة أن زوار الأنبياء وقبور الأولياء يطلبون منهم أن يـدعوا اللَّه لهم فى قضاء حوائجهم، ولا يعبدونهم ولا يعتبرونهم آلهة ويعتقدون أنهم لا يسـتقلّون من دون اللَّه تعالى بالضـر والنفع، ولا يسـجدون لهم!! خلافاً لأولئك الكفار الذين نزلت فيهم هذه الآية وغيرها من الآيات الكريمة حيث كانوا يسـجدون لتلك الأصنام ويعبـدونها من دون اللَّه تعالى!! أما قولهم: «هؤلاء شـفعاؤنا عنداللَّه» فمثل هذه المقالة منهم هى محض كذب منهم عند محاججة النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم لهم وإقامة الحجة عليهم فلا يذعنون ولا ينقادون للأنبياء ولا يدرون بماذا يجيبون فيقولون هذه الجمل التى لا يعتقدونها ولا يؤمنون حقيقةً بمضمونها، فهى كذب بحت منهم، وقد بيّن اللَّه تعالى لنا أنّ هذه الجمل هى محض كذب

ص: ۸۸

منهم حيث قال فى الآيات الأخرى التى أوردها الشيخ مفسراً لها على غير ما قررناه وهى قوله تعالى:

«... والـذين اتخـذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلّاليقربونا إلى اللَّه زلفى إنّ اللَّه يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون إن اللَّه لا يهدى من هو كـاذب كفار»(الزمر/ ۳) فبين اللَّه تعـالى لنـا أن هؤلاء الكفـار كاذبون فيما زعموه لأنّهم لا يعرفون اللَّه ولا يريـدون السـجود له ولا يعترفون ولا يؤمنون به والـدليل على ذلك وهو الذى لا يختلف فيه اثنان قوله تعالى: «وإذا قيل لهم اسـجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسـجد لمـا تأمرنـا وزادهم نفوراً»(الفرقان/ ۶۰)، وقـوله تعـالى: «... وهم يكفرون بـالرحمن قـل هـو ربّى...»(الرعـد/ ۳۰)، وقـال تعالى: «وضـرب لنـا مثلًا ونسـى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم* قُل يُحييها الـذى أنشأها أوّل مرّة...»(يس/ ۷۸- ۷۹)، وقال تعالى: «ولا تسـبوا الـذين يـدعون من دون اللَّه فيسـبوا اللَّه عـدوا بغير علم...»(الأنعـام/ ۱۰۸)، فهـذه الآيـات جميعهـا تثبت خطأ الاسـتدلال بالآيات الأخرى التى ذكرناها على أن الاستغاثة ومطلق الدعاء شرك!! لأن هذه الآيات تثبت أن أولئك ما كانوا يؤمنون باللَّه تعالى مطلقاً فضلًا عن أن يعتقدوا بأنّ أولئك الأصنام

ص: ۸۹

وغيرها ممّن اتخذوها آلهة من دون اللَّه تعالى ما هى إلّا وسيلة تقربهم للَّه‌تعالى وتشفع لهم عنده!! فلو كان كذلك لعظموا اللَّه تعالى، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن، لذلك قال اللَّه تعالى عنهم: «... إنّ اللَّه لا يهدى من هو كاذب كفّار»(الزمر/ ۳) وبذلك ينهدم كلام الشيخ واستدلاله بتلك الآيات الكريمة.

وهنا نعيد له كلامه الذى ردده هناك بعد هذا البيان الواضح ونقول له:

(فالواجب على مثلكم تدبر هذا المقام وإعطاؤه ما يستحق من العناية)!!

وما أورد الشيخ هناك(ص ۵) فى مقالته من آيات فسرها كما يريد على أن دعاء غير اللَّه من الأنبياء والملائكة والجن وغيرهم شرك!! فلا يتم له بها الاستدلال لأننا قدّمنا ما هو الصحيح من معناها لا سيما وقد خالفه فى الملائكة فى هذه القضية الشيخ الألبانى حيث استثنى الملائكة لحديث حسن أورده فى ضعيفته هناك إذا قال:

«فهذا الحديث إذا صح يعيّن أن المراد بالحديث الأوّل(يا عباد اللَّه) إنّما هم الملائكة، فلا يجوز أن يلحق بهم

ص: ۹۰

المسلمون من الجن أو الإنس ممّن يسمونهم برجال الغيب» (۱).

ثم اعترف بعد ذلك بأسطر بأنّه وقف على إسناد الحديث فی زوائد البزار وأنّه حسن كما قال الحفاظ!!

ملاحظة: ثم ألف نظر الشيخ هنا إلى مسألة الاستغاثة بالأنبياء، أی سؤالهم عند الوقوف على قبورهم وخاصة سيدنا محمد صلى الله عليه و آله و سلم أن يدعو اللَّه لنا فی قضاء الحاجات كما نص على ذلك جمع من الأئمة منهم الإمام الحافظ النووی فی المجموع «شرح المهذب» (۲) فی باب ما يستحب أن يقول عند الزيارة- أنّ الأنبياء أحياء وكذا الشهداء: «ولا تحسبنّ الذين قتلوا فی سبيل اللَّه أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون»(آل عمران/ ۱۶۹) ولا نحتاج لتأويل كلمة أحياء وإخراجها عن المعنى الذی نفهمه والذی تدل عليه اللغة العربية التی نزل بها القرآن إلى معنى لا نفهمه، لأنّ اللَّه تعالى يخاطبنا فی هذه الآية بما نفهم ونعقل!! فإذا كانوا أحياء (۳)

۱- ۲/ ۱۱۱.

۲- ۸/ ۲۷۴.

۳- كما إنّنا نفهم معنى «أمواتاً» فی الآية ولا نحتاج لتأويلها، وقدجعل اللَّه‌تعالى كلمة «أحياء» هنا فی قبال كلمة «أموات» ومعناهما معلوم فی اللغة العربية التی نزل بها القرآن الكريم؛ بل توجد روايات كثيرة تدلّ على أنّ جميع «الأموات» يدركون- حسب مراتبهم- أموراً كثيرة، ولا تنقطع علاقتهم بالدنيا بشكل كامل.

ص: ۹۱

ص: ۹۲

ص: ۹۳

وبعد سلام الزائر علیهم خاطبهم لیدعوا اللّه له فی قضاء حاجته فما هو المانع من ذلک وما هو الشرک فی هذا؟!!

لا سیما وابن قیّم الجوزیة یقول فی کتابه «الروح»(انظر: الروح، ص ۴۷) کما نقل المحدّث الکتانی عنه فی «نظم المتناثر من الحدیث المتواتر»(حدیث رقم ۱۱۵).

«صحّ عن النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم أنّ الأرض لا تأکل أجساد الأنبیاء وأنّه صلی الله علیه و آله و سلم اجتمع بالأنبیاء لیلة الإسراء... وقد أخبر بأنّه ما من مسلم یسلّم علیه إلّارد اللّه علیه روحه حتی یردّ علیه السلام (۱) إلی غیر ذلک ممّا یحصل من جملته القطع بأن

۱- وقال السیوطی فی «مرقاة الصعود» أحادیث حیاة الأنبیاء فی قبورهم، متواترة وقال فی «أنباء الأذکیاء بحیاة الأنبیاء» ما نصه: «حیاة النبیّ صلّی اللّه علیه وسلّم فی قبره وسائر الأنبیاء معلومة عندنا علماً قطعیاً، لما قام عندنا من الأدلّة فی ذلک وتواترت به الأخبار الدالّة علی ذلک وقد ألّف الإمام البیهقی رحمه الله جزءاً فی حیاة الأنبیاء علیهم الصلاة والسلام فی قبورهم»(انظر: نظم المتناثر من الحدیث المتواتر، ص ۳۵، تعلیق حدیث رقم ۱۱۵) وقد تقدّم رأی الذهبی بقوله: «فمن وقف عند الحجرة المقدسة ذلیلًا مُسَلِّماً مصلّیاً علی نبیّه فیا طوبی له فقد أحسن الزیارة وأجملَ فی التذلل والحُبّ وقد أتی بعبادة زائدة علی من صلّی علیه فی أرضه...»(سیر أعلام النبلاء: ج ۴، ص ۴۸۳، الرقم ۱۸۵) وأخرج الهیثمی عن عبد اللّه بن مسعود عن النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم قال: «إن للّه ملائکة سیّاحین یبلّغون عن أمتی السلام...» رواه البزار ورجاله رجال الصحیح»(مجمع الزوائد: ج ۹، باب ما یحصل لأمّته من الاستغفار بعد وفاته، ص ۲۴) وروی أبو داود بسند صالح والبیهقی کما نقل عنهما الشیخ منصور علی ناصف فی کتابه «التاج الجامع للأصول»(کتاب الحج، ج ۲، باب زیارة قبر النبیّ صلّی اللّه علیه وسلّم) وعن أبی هریرة عن النبیّ صلّی اللّه علیه وسلم قال: «ما من أَحَدٍ یُسَلِّم عَلیَّ إلّاردّ اللّه علیَّ روحی حتّی أردّ علیه السلام» ونقل أیضاً عن أبی داود بسند صالح والضیاء عن أبی هریرة عن النبیّ صلّی اللّه علیه وسلّم قال: «... وصلّوا علیَّ فإنّ صلاتکم تبلغنی حیث کنتم»(نفس المصدر) کما أورد القاضی عیّاض(م/ ۵۴۴) فصلًا فی کتابه «الشفاء بتعریف حقوق المصطفی، ص ۶۶۶- ۶۷۸) وبعد أن ذکر فی بدایة الفصل: «وزیارة قبره صلّی اللّه علیه وسلّم سُنّة من سنن المسلمین مُجتَمعٌ علیها وفضیلة مرغَّبٌ فیها»، أورد شطراً من الروایات فی ذلک الباب. کما یذکر تقی الدین السبکی بالتفصیل(م/ ۷۵۶) روایات کثیرة فی هذا الباب فی کتابه المعروف: «شفاء السقام فی زیارة خیر الأنام»، وبعد ذکره بعض المتابعات والشواهد حول هذه الروایات یبدأ ببحث وتحلیل سندها ودلالتها ثمّ یعمد إلی دفع الشبهات والإشکالات.

ص: ۹۴

موت الأنبياء إنّما هو راجع إلى أن غُيِّبوا عنا بحيث لا ندركهم (۱) وإن كانوا أحياء موجودين كالملائكة فإنّهم

۱- ويؤيّده ما رواه الهيثمى عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّهعليه وسلّم: «الأنبياء أحياء فى قبورهم يُصَلّون» قال الهيثمى: ورواه أبو يعلى والبزار ورجال أبى يعلى ثقات(مجمع الزوائد: ج ۸، باب ذكر الأنبياء صلّى اللَّه عليهم وسلّم، ص ۲۱۱) وانظر أيضاً سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى(ج ۲، ص ۱۸۷- ۱۹۲) قال: «وقد كنت برهة من الدهر أرى أنّ هذا الحديث ضعيف لظنى أنّه ممّا تفرّد به ابن قتيبة- كما قال البيهقى- ولم أكن قد وقفت عليه فى «مسند أبى يعلى» و «أخبار اصبهان» فلمّا وقفت على إسناده فيهما تبيّن لى أنّه إسناد قوى وأنّ التفرّد المذكور غير صحيح...».

ص: ۹۵

أحياء موجودون ولا نراهم».

انتهى ما أردنا نقله، فتأمّل!!

ثم نقل الشيخ كلاماً لابن تيميـة لم يخرج ما فيه من الكلام عن ما ذكرناه وفنـد من أقوال لا دلالـة فيها وإنّما هو إعادة الكلام وإبـدائه فيما لا تحقيق فيه!!

ونلفت النظر هنا إلى أنّ كلام ابن تيميـة لا قيمة له عندنا لأنّه هو الأساس فى كل الخصومة بينه وبين باقى المسـلمين فلا يجوز أن نأتى بكلام الخصم سواء، الفتـاوى أو من رسـالته إلى أتبـاع الشـيخ عـدى بن مسافر فنورده على أنّه حجـة أو كلام من شـخص معتبر!! فإنّ الشيخ العلّامة الخراسانى لو جلب للشيخ كلام أحد أئمة الإمامية لم يقبل منه الشيخ ذلك ولقال له هذا لا يعترف به عندنا فلا فائدة من إيراد كلامه هنا!!

فكذلك ابن تيمية لا قيمة ولا اعتبار له عند جمهور

ص: ۹۶

علماء أهل السنة (۱) من غير المتمسلفين فى القديم والحديث، وكم لهم عليه وعلى أفكاره من ردود يعرفها الشيخ!! وكذا لا قيمة له عند الإمامية والزيدية والأباضية وغيرهم من المسلمين الموحدين. فكلام ابن تيمية لا يصح إيراده وهو غير مقبول ومن كانت لديه حجة فليوردها بعيداً عن ابن تيمية. والمناظرة أو المباحثة والمناقشة يجب أن تكون الأدلّة والأقوال التى يتم الحوار بناء عليها متفقاً عليها أو معترفاً بها عند طرفه وإلّا كان إيرادها من العبث الذى لا قيمة له.

وبقى شيئان فى كلام الشيخ يجب الجواب عليهما

۱- انظر على سبيل المثال كلام تقى الدين السبكى فى مقدمة كتابه «الدرالمضيئة فى الرد على ابن تيمية» والذهبى فى رسالته «بيان زغل العلم والطلب»(وهذه الرسالة ثابتة عن الذهبى وذلك لأنّ الحافظ السخاوى قد نقل عنه هذه العبارة فى كتابه «الإعلان بالتوبيخ» قال: «قد رأيت له- للذهبى- عقيدة مجيدة ورسالة كتبها لابن تيمية هى لدفع نسبته لمزيد تعصبه مفيدة.» انظر: الإعلان بالتوبيخ، ص ۷۷) وابن حجر العسقلانى فى «لسان الميزان»(ج ۷، ص ۱۵۳۰، الرقم ۹۴۶۵) وابن حجر الهيثمى فى «الفتاوى الحديثة»(ص ۱۴۴) وكتابه الآخر «الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم»(ص ۱۲) وتاج الدين السبكى فى «طبقات الشافعية الكبرى: ج ۱۰، ص ۴۰۰، الرقم ۱۴۱۷) وتقى الدين الحصنى فى «دفع الشبهة عن الرسول والرسالة»(ص ۸۳) ومحمود بن عبد اللّه الآلوسى فى «روح المعانى»(ج ۱، ص ۳۶) ومحمد زاهد الكوثرى فى «السيف الصيقل».

ص: ۹۷

باختصار، وإذا لم يقتنع بذلك فإننا سنطيل تفصيله والاستدلال عليه، وهما:

الأوّل: اعتباره أن تقبيل الشيء واستلامه نوع من أنواع العبادة!!

والجواب عليه: إن الأمر ليس كذلك، فقد قبّل النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم وجه الصحابى الجليل عثمان بن مظعون وهو ميت وقبّل ما بين عينيه!! أنظر «مجمع الزوائد»(۳/ ۲۰) وغيره.

ومن ذلك تقبيل يد الوالدين واستلامهما مع تعظيمهما واحترامهما لا يعتبر عبادة بالاتفاق.

فاستلام الشيء لا يعتبر من العبادات حتى يحكم بذمه وأنه من الشركيات والبدع المذمومات!!

والثانى: أن حديث «لعن اللّه اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» لا يصح وإن رواه الشيخان لأنّ معناه مصادم لما جاء فى القرآن كما سنبين وليس هذا بعجب!! فقد أمر الإمام أحمد بالضرب على أحاديث وقد خرجها فيما بعد الشيخان!! منها حديث «يهلك أمتى هذا، الحى من قريش قالوا ما تأمرنا يا رسول اللّه؟ قال: لو أن

ص: ۹۸

الناس اعتزلوهم» (۱)

.

قال عبداللّه بن الإمام أحمد فی «المسند» عقبه مباشرة:

«قال أبی فی مرضه الذی مات فیه: اضرب علی هذا الحدیث فإنّه خلاف الأحادیث عن النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم یعنی قوله: اسمعوا وأطیعوا» (۲).

وهذا الحدیث الذی فیه اتخاذ الیهود والنصاری قبور أنبیائهم مساجد فیه بکل صراحة تعظیم أنبیائهم!! لکن القرآن الکریم بین أن الیهود لم یکونوا یحترمون الأنبیاء بل کانوا یکذبونهم ویقتلونهم!! قال تعالی:

«... أفکلما جاءکم رسول بما لا تهوی أنفسکم استکبرتم ففریقاً کذبتم وفریقاً تقتلون»(البقرة/ ۸۷)، وقال تعالی:

«... قُل فلم تقتلون أنبیاء اللّه من قبل إن کنتم مؤمنین»(البقرة/ ۹۱).

ولذلک أورد هذا الحدیث المحدث الشریف عبد اللّه بن الصدیق الغماری- أعلی اللّه درجته- فی کتابه «الفوائد

۱- انظر: البخاری مع الفتح، ج ۶، ص ۱۶۱۲، الرقم ۳۶۰۴؛ ومسلم: ج ۴، کتاب الفتن وأشراط الساعة، ص ۲۲۲۶، الرقم ۲۹۱۷.

۲- ۲/ ۳۰۱ والطبع المحقق: ۱۳/ ۳۸۳.

ص: ۹۹

المقصودة فی بیان الأحادیث الشاذة المردودة».

وأورد السید المحدث الغماری هناک: أنّ اللّه تعالی أثبت فی القرآن الکریم أذیة الیهود لنبیهم الأکبر سیدنا موسی- علیه الصلاة والسلام- فی عدة آیات، منها قوله تعالی: «وإذ قال موسی لقومه یا قوم لم تؤذوننی وقد تعلمون أنی رسول اللّه إلیکم فلما زاغوا أزاغ اللّه قلوبهم واللّه لا یهدی القوم الفاسقین»(الصف/ ۵) هذا ولا یعلم أنّهم أقاموا لأکبر وأعظم أنبیائهم سیدنا موسی قبراً یزورونه ویعظمونه حتی الآن!! فکیف یقال بعد ذلک إنّهم عظموا قبور أنبیائهم واتخذوها مساجد؟!!

وأمّا النصاری فلیس لهم إلّانبی واحد!!

وأمّا إنکار الشیخ التوسل بالأنبیاء فی آخر جوابه أو مقاله، فجوابه أن الأحادیث الصحیحة فی هذا الموضوع کثیرة جداً أفردت بتصنیفات مستقلة معلومة عندکم فیها أحادیث کثیرة صحیحة، منها حدیث عثمان بن حنیف فی قصّة الأعمی الذی علّمه النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم أن یقول:

«اللهم إنّی أتوجّه إلیک بنبیک محمّد نبی الرحمة...».

رواه الترمذی والنسائی والحاکم وغیرهم وصححه

ص: ۱۰۰

الأئمة (۱)، وفی روایة ابن أبی خیثمة فی تاریخه بإسناد صحیح زیادة: «وإن کانت حاجة فافعل مثل ذلک» وکذا علّم سیدنا عثمان بن حنیف رضی الله عنه- راوی هذا الحدیث- رجلًا بعد وفاته صلی الله علیه و آله و سلم أن یدعو بمثل هذا الدعاء، وهو صحیح رغم محاولات بعضهم لتضعیفه، وتجد تفنید أقوال من یحاول تضعیفه والکلام علی تلک الروایات وعلی سندها وتحقیق ذلک فی کتاب المحدّث الغماری «إرغام المبتدع الغبی بجواز التوسل بالنبی» أن ابن تیمیة أقرّ أخیراً بجواز التوسل وأصر وبقی منکراً للأستغاثة (۲)!!

والأصل فی ذلک کلّه قوله تعالی: «وابتغوا إلیه الوسیلة»(المائدة/ ۳۵) وقوله تعالی: «یبتغون إلی ربّهم الوسیلة»(الإسراء/ ۵۷).

هذا؛ ونسأل اللّه تعالی أن یمنحنا وإیاکم وسائر

۱- انظر: التعلیق علی مسند أحمد: ج ۲۸، ص ۴۷۸، الرقم ۱۷۲۴۰؛ والجامع‌الصغیر للسیوطی: ج ۱، ص ۹۴، الرقم ۱۵۰۸؛ وفیض القدیر للمناوی: ج ۲، ص ۱۶۹- ۱۷۰، الرقم ۱۵۰۸.

۲- قال المناوی بعد شرحه للحدیث: «قال السبکی ویحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبیّ إلی ربّه ولم ینکر ذلک أحد من السلف ولا من الخلف حتّی جاء ابن تیمیة فأنکر ذلک وعدل عن الصراط المستقیم وابتدع ما لم یقله عالم قبله وصار بین أهل الإسلام مثلة»(فیض القدیر: ج ۲، ص ۱۶۹- ۱۷۰، الرقم ۱۵۰۸).

ص: ۱۰۱

المسلمين الرجوع للحق وتقوى اللّه تعالى فى السر والعلن وأن يكرمنا جميعاً بالتفقه فى دينه والثبات على التوحيد الخالص وأن يصلح أحوال المسلمين فى كل مكان وأن يكرمهم بالفقه فى الدين والحرص على الخيرات وترك المنكرات (۱) وأن يولى عليهم خيارهم ليحكموا بشرع اللّه تعالى انصياعاً لقوله جلّ جلاله: «فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً»(النساء/ ۶۵) ولقوله تعالى:

«أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من اللّه حكماً لقوم يوقنون»(المائدة/ ۵۰) اللّهمّ صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضوان اللّه تعالى على صحابته المتقين وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين.

۱- وفى الختام وبعد أن اطّلع القراء الكرام على أدلة جواز التوسل والتبركوالزيارة والتقبيل، وعلموا أنّ علماء كبار أمثال: أحمد بن حنبل، والذهبى، والسبكى، وابن حجر، والنووى والمناوى و... يقولون بجواز هذه الأمور. نودّ أن نلفت نظرهم إلى أنّ أمثال هؤلاء العلماء والحفّاظ قد أفتوا وصرحوا بجواز هذه الأمور بعد بحث وتحقيق وإقامة الدليل، لا عن حدس وتقليد. وعلى هذا، إذا اعتبرنا هذه الأمور شركاً باللّه تعالى، فلا بدّ أيضاً اعتبار أمثال هؤلاء العلماء العظام مشركين أو كفّار. ونحن نترك لكم الحكم والقضاء فى تصور العواقب والتأثيرات التى يمكن أن يتركها مثل هذا الأمر.

ص: ۱۰۲

ص: ۱۰۳

التبرّک والتوسّل علی ضوء الکتاب والسنّة

اشارة

ملاحظات و تعلیقات علی أجوبة الشیخ عبدالعزیز بن باز بقلم:

آیة اللّه الشیخ جعفر السبحانی

ص: ۱۰۴

ص: ۱۰۵

تعليق آخر (حوارات عقائديّة معاصرة)

اشارة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه‌رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

فقد وقفت على رسالة لسماحة الشيخ الجليل محمد واعظ زاده الخراسانى كتبها إلى المفتى العام للملكة العربية السعودية الشيخ عبدالعزيز بن باز بتاريخ ۱۱ ذى الحجة الحرام عام ۱۴۱۳ ه. وقد صدرت اجابة من مكتب المفتى بتاريخ ۶ جمادى الأُخرى عام ۱۴۱۶ ه، برقم ۱۱۶۵۱، واشتملت الرسالة الأُولى على أمرين:

الأوّل: مسألة التبرك‌والتوسل بالنبى وبالأولياء فى حياتهم ومماتهم.

الثانى: مسألة الصلح مع العدو الصهيونى الّذى أجازه

ص: ۱۰۶

الشيخ ابن باز فى بعض بحوثه، إذا لم يكن بإمكان المسلمين الحرب مع هذا الكيان، استناداً إلى صلح النبى مع المشركين فى الحديبية.

ولكن المفتى أجاب عن المسألة الأُولى ولم يجب شيئاً عن المسألة الثانية بتاتاً.

ثم إنى قد وقفت على تعقيب على الرسالتين للأُستاذ حسن بن على السقاف، والرسائل الثلاث منتشرة فى كتيب بعنوان «التبرك والتوسل والصلح مع العدو الصهيونى».

وقد طلب منى بعض الاعزاء ان اعلّق على رسالة المفتى ببعض ما يمكن اعتباره جواباً عنها، وأُبيّن موقف الشريعة الإسلامية من هذه المواضع على ضوء الكتاب والسنة.

وقد كتبت فيما مضى رسائل وبحوثاً حول هذه المواضيع، والّذى يورث الاسف ان المفتى وتلامذته ومن على منهجه يقلّدون منهج استاذهم محمد بن عبد الوهاب كما أنّه قلد استاذ منهجه- أحمد بن تيمية. ويشهد على ذلك انّه ملأ رسالته بكلام ابن تيمية واعتمد عليه كليّاً غاضاً الطرف عن الكثير من الردود الاتى دونها لفطاحل من علماء المسلمين فى بيان نقاط الخلل فى فكره ومجانبته للحقيقة.

ص: ١٠٧

وبما أن مسألة التبرک والتوسل صارت ذریعة لرمی جماهیر غفیرة من المسلمین بتهمة البدعة والشرک فلم أجد بداً من أیضاح الموضوع، لعل اللّه یحدث بعد ذلک أمراً.

وربّما یوجد فی الجیل المعاصر من یؤثر الحق علی التعصب المقیت والتقلید الأعمی.

وها نحن نذکر خلاصة کلام المفتی فی مقاطع مختلفة، ثم نعرج علیه بالتحلیل والدراسة.

١. التبرک بالآثار

فرّق الشیخ المفتی فی رسالته بین التبرک بما مسّ جسده صلی الله علیه و آله و سلم فافتی بجوازه وما لم یمس جسده فافتی بانّه بدعة لا أصل لها، فقال:

فأما التبرک بما مسّ جسده- علیه الصلاة والسلام- من ماء وضوء اوعرق أو شعر ونحو ذلک، فهذا أمر معروف وجائز عند الصحابة- رضی اللّه عنهم- وأتباعهم بإحسان، لما فی ذلک من الخیر والبرکة.

وعلی هذا أقرّهم النبی صلی الله علیه و آله و سلم.

فامّا التمسح بالأبواب والجدران والشبابیک ونحوها فی المسجد الحرام أو المسجد النبوی فبدعة لا أصل

ص: ١٠٨

لها والواجب تركها لأن العبادات توقيفيـة لا يجوز منها إلّاما أقرّه الشـرع لقول النبى صـلى الله عليه و آله و سـلم: «من أحـدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ». (١) يلاحظ عليه أوّلًا: بانّه جمع فى كلامه بين أمرين، فتارة وصف التبرك بما لم يمس بدنه صلى الله عليه و آله و سلم بكونه بدعـة لاـ أصـل لهـا، وأُخرى بكونه عبـادة غير واردة فى الشـرع، وان العبادات توقيفيـة، مع أن الجمع بينهما فى هـذا الموضع أمر غير صـحيح، لأن التبرك بما مس جسده الشريف، إذا لم يكن عبادة للنبى، لا يكون التبرك بما لم يمس جسده الشريف عبادة له أيضاً، بل أقصى ما يمكن أن يقال- حسب زعمه- أنّه بدعة.

وإذا كـان التبرك بالآثـار فى حـد ذاته شـركاً وعبادة لصاحب الأثر فلا يخرج عن كونه شـركاً وعبادة إذا مسّ جسـد النبى وذلك لأن الشرك شرك لا يتبدل ولا يتغير عن واقعه بمسّه جسد المعصوم.

وثانياً: إن ظاهر كلامه: إن لجسده صـلى الله عليه و آله و سـلم تأثيراً فى ذلك الشىء الّذى يتبرك به، مع أن هذا مخالف لأُصول أهل السنّة إذ لا مؤثر فى الكون إلّااللّه سبحانه وأنّه ليس لشىء

١- صحيح مسلم: ٣/ ١٣٤٣/ ١٧١٨.

ص: ١٠٩

من الأشياء أىّ تأثير فى شىء، ومنطقهم هو البيت التالى:

ومن يقل بالطبع أو بالعلّة فذاك كفر عند أهل الملّة

يقول الزبيدى: كل من أثبت مؤثراً غير اللّه من علّة أو طبع أو ملك أو أنس أو جنّ فقد قال بمقولة المجوس. (١) وثالثاً: إن البدعة تتقوّم بالقيود الآتية:

١. ادخال شىء فى الدين عقيدة أو حكماً أو عملًا بزيادة أو نقيصة.

٢. ان تكون هناك إشاعة ودعوة.

٣. أن لا يكون هناك دليل فى الشرع يدعم جوازها لا بالخصوص ولا بالعموم.

اما القيدان الأوّلان، فلا حاجة إلى البحث فيهما، إنما الكلام فى القيد الثالث وهو أن مقوّم البدعة عدم وجود أصل لها فى الدين، لا خصوصاً ولا عموماً.

وهذا ممّا أطبق عليه كبار أهل السنة، قال ابن رجب:

المراد بالبدعة ما أحدث ممّا لا أصل له فى الشريعة يدلّ عليه، امّا ما كان له أصل من الشرع يدلّ عليه فليس ببدعة

١- اتحاف السادة: ٢/ ١٣٥.

ص: ۱۱۰

شرعاً وإن كان بدعة لغة. (۱) وقال ابن حجر العسقلانی: ما أحدث وليس له أصل فی الشرع يسمّی فی عرف الشرع بدعة، وما كان له أصل يدلّ عليه الشرع فليس ببدعة. (۲) وقال أيضاً «البدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق، وتطلق فی الشرع فی مقابل السنة فتكون مذمومة.

والتحقيق أنها ان كانت ممّا تندرج تحت مستحسن فی الشرع فهی حسنة وان كانت ممّا تندرج تحت مستقبح فهی مستقبحة. وإلّا فمن قسم المباح. (۳) وعلى ضوء ذلك إن التمسح بما لم يمس جسده صلى الله عليه و آله و سلم له أصل فی‌الدين وأن‌المسلمين ينطلقون فی‌جوازذلك من مبدأين:

المبدأ الأوّل: مبدأ الحب والودّ والتعزير والتكريم، إذ لا شكّ أن الشرع دعا إلى حب النبی وودّه وتكريمه وتعزيره.

قال سبحانه: «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ

۱- جامع العلوم والحكم: ۲۸۹.

۲- فتح البارى: ۵/ ۱۵۸.

۳- فتح البارى: ۴/ ۲۵، كتاب صلاة التراويح، ذيل الحديث برقم ۲۰۱۰.

ص: ۱۱۱

وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَايَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» (۱).

ویقول أیضاً فی مدح الذین یوقرون النبی صلی الله علیه و آله و سلم ویحترمونه:

«فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (۲).

روی البخاری عن أبی هریرة، أن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم قال: «فوالّذی نفسی بیده لا یؤمن أحدکم حتّی أکون أحبّ إلیه من والده وولده».

وروی عن أنس قال: قال النبی: «لا یؤمن أحدکم حتّی أکون أحبّ إلیه من والده وولده والناس أجمعین». (۳) وقد عقد مسلم باباً باسم: «باب وجوب محبة رسولاللّه صلی الله علیه و آله و سلم» ونقل فی ذلک أحادیث عدة.

والروایات الحاثة علی حب النبی کثیرة اقتصرنا

۱- التوبة: ۲۴.

۲- الاعراف: ۱۵۷.

۳- صحیح البخاری، کتاب الإیمان، برقم ۱۴ و ۱۵.

ص: ۱۱۲

فیها بما ذکرنا ومن أراد التفصیل فلیرجع إلی جامع الأُصول. (۱)

مظاهر الحب فی الحیاة

اشارة

إن للحب مظاهر متعددة فی الحیاة، إذ لیس الحبّ شیئاً یستقر فی صقع النفس من دون أن یکون له انعکاس خارجی علی اعمال الإنسان وتصرفاته، بل إن من خصائص الحبّ أن یظهر أثره علی جسم الإنسان وملامح وجهه، وعلی قوله وفعله بصورة مشهودة وملموسة، ومن مظاهره:

۱. الاتباع

إن حبّ الرسول الکریم لا ینفک عن اتباع دینه والاستنان بسنّته والإتیان بأوامره والانتهاء عن نواهیه، ولا یعقل أبداً أن یکون المرء محبّاً للرسول أشدّ الحب، ومع ذلک فهو یخالفه ویرتکب ما یبغضه ولا یرضیه.

ویقول: «قُلْ إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ اللَّهُ» (۲).

۱- جامع الأُصول: ۱/ ۲۳۹.

۲- آل عمران: ۳۱.

ص: ۱۱۳

۲. حبّ ما يمتّ إليه بصلة

اشارة

إن للحبّ مظاهر أُخرى غير الاتباع، فى حياة المحبوب وبعد مماته، اما فى حياته فالمحبّ يزور محبوبه ويكرمه ويعظمه ويقضى حاجته ويدفع عنه كل مكروه، ويهيىء له ما يريحه.

فاذا توفى المحبوب، حزن عليه أشدّالحزن، وحفظ آثار، كما انّه يحترم ابناءه واقرباءه وديارة ومثواه وكل ما يمّتَ إليه بصلة.

وعلى ضوء ذلك فمن يتمسح بالأبواب والجدران والشبابيك فى حرم رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم يُعد عمله هذا من مظاهر حبه لرسول اللّه فلما لم يتمكن من أن يقبل الرسول ويتمسح به مباشرة اتجه ليقبّل ويتمسّح بما يمتّ إليه بصلة، وهذا أمر رائج بين العقلاء وداخل فى حبّ النبى وتكريمه.

ولذلك نرى أنّه سبحانه يأمرنا برفع بيوت الأنبياء والأولياء ويقول: «فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ» (۱).

۱- النور: ۳۶.

ص: ۱۱۴

وحيثما نزلت هذه الآية على قلب سيّد المرسلين وهو صلى الله عليه و آله و سلم فى المسجد الشريف، قام إليه رجل فقال: أىّ بيوت هذه يا رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم؟ قال: «بيوت الأنبياء»، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول اللّه: أهذا البيت منها؟ مشيراً إلى بيت على وفاطمة عليهما السلام، قال: «نعم ومن أفاضلها». (۱) ومن الواضح أن تكريم هذه البيوت لا لأجل أن جسد النبى صلى الله عليه و آله و سلم أو الولى مس جميع اجزائها من الجدران والسقف وإنّما لأجل انتمائها إلى رجال جاء ذكرهم فى الآية التالية بقوله تعالى: «... يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ* رِجَالٌ لَاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ» (۲).

فكلّ ما يمتُّ إلى أولياء اللّه بصلة يكون دافع المسلم إلى لمسه وتقبيله هو حبّه لصاحبه ليس إلّا، فإظهار هذا الحب المكنون فى القلب ليس بدعة لأن له أصلًا فى القرآن.

المبدأ الثانى: ان الصحابة كانوا يتبركون بكل ما يمتُّ إلى النبى بصلة وإن لم يمس جسده ونذكر فى ذلك قليلًا من كثير حتّى يعلم أن تفريق الشيخ بين ما مسّ جسده ومالم يمسّه ليس له أصل شرعى بل هو اجتهاد خاطئ.

قال الذهبى بعد التصريح بمشروعية زيارة قبر

۱- الدر المنثور: ۶/ ۳۰۳؛ روح المعانى: ۱۸/ ۱۷۴.

۲- النور: ۳۶- ۳۷.

ص: ۱۱۵

النبی صلی الله علیه و آله و سلم: فواللّه ما یحصل الانزعاج لمسلم، والصیاح وتقبیل الجدران وکثرة البکاء إلّاوهو محبّ للّهوللرسول فحبّه المعیار والفارق بین أهل الجنة وأهل النار فزیارة قبره من أفضل الْقُرب. (۱)

۱. التبرک بقبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم عند الجدب

إلیک بعض ما نقل:

۱. عن‌اوس بن‌عبداللّه قال: قحط أهل‌المدینةقحطاً شدیداً فشکوا إلی عائشة فقالت: انظروا قبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم فاجعلوامنه کوّة إلی السماء حتّی لا یکون بینه وبین السماء سقف. قال: ففعلوا فمطرنا مطراً حتّی نبت العشب وسمنت الأبل (۲).

وروی ابن تیمیة: أن عائشة کشفت عن قبر النبی لینزل المطر فانّه رحمة تنزل علی قبره. (۳) ومن المعلوم أن التراب الّذی وارى قبره الشریف لم

۱- سیر أعلام النبلاء: ۴/ ۴۸۳- ۴۸۴، ترجمة الحسن بن الحسن بن علی بن أبی طالب، برقم ۱۸۵.

۲- السنن للدارمی: ۱/ ۴۳- ۴۴، وقال: اسناده صحیح؛ اقتضاء الصراط المستقیم: ۳۳۸ و انظر أیضاً: التعلیق السقاف: ص ۷۱

۳- اقتضاء الصراط المستقیم: ۳۳۸.

ص: ۱۱۶

یمس جسد النبی الأکرم صلی الله علیه و آله و سلم ولم یظهر سوی ظاهر قبره للسماء، فالتفصیل بین ما مس جسده، وما لم یمسه یضادّ هذا الأثر الذی روی بإسناد صحیح.

۲. التبرک بالمواضع الّتی صلّی فیها النبی صلی الله علیه و آله و سلم

عقد البخاری باباً باسم «باب المساجد الّتی علی طرق المدینة والمواضع الّتی صلی فیها النبی صلی الله علیه و آله و سلم» ونقل فیه عن موسی بن عقبة، قال: رأیت سالم بن عبداللّه(ابن عمر)- یتحری اماکن من الطریق فیصلّی فیها ویحدّث أن أباه کان یصلّی فیها وأنّه رأی النبی صلی الله علیه و آله و سلم یصلّی فی تلک الأمکنة ثم ذکر اسماء المساجد الّتی کان یصلّی فیها ابن عمر ثم ابنه سالم. (۱) وعندئذ نسأل الشیخ: فما هو الوجه فی المواظبة علی الصلاة فی مساجد صلّی فیها النبی صلی الله علیه و آله و سلم؟ ولماذا کان ابن عمر یداوم علی الصلاة فیها؟ فهل کان جسد النبی مس عامّة اجزاء تلک المساجد؟ وهل بقیت الرمال والتراب علی حالها بعد مضی سنین طویلة من رحیله صلی الله علیه و آله و سلم؟

۱- البخاری: ۱/ ۴۹۲، الحدیث ۴۸۳،(باب المساجد الّتی علی طرق المدینة).

ص: ۱۱۷

کل ذلک یدلّ علی أن التبرک بآثار الرسول صلی الله علیه و آله و سلم سواء مسّت جسده أو لا، أمر مشروع بین الصحابة والتابعین.

۳. تبرک الصحابی بقبر الرسول صلی الله علیه و آله و سلم عند الزیارة

أخرج الحاکم عن داود بن أبی صالح قال: أقبل مروان یوماً فوجد رجلًا واضعاً وجهه علی القبر فأخذ برقبته فقال: أتدری ما تصنع؟ قال: نعم.

فاقبل علیه فاذا هو أبی ایوب الأنصاری رضی الله عنه فقال:

جئت رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم ولم آت الحجر، سمعت رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم یقول: «لا تبکوا علی الدین، إذا ولیه أهله، ولکن ابکوا علیه إذا ولیه غیر أهله». (۱) قال الحاکم: هذا حدیث صحیح الاسناد ولم یخرّجاه.

وقد أقرّه الذهبی فی تلخیصه للحاکم، فقال: صحیح.

هذا عمل الصحابی العظیم أبو أیوب الانصاری رضی الله عنه فهو تبرک بوضع وجهه علی القبر اتّباعاً لسنة الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله و سلم وصحبه فی التبرک کما تقدم.

وهذه فتوی الأموی طرید رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم، وابن

۱- المستدرک علی الصحیحین: ۴/ ۵۱۵؛ مسند أحمد ۵/ ۴۲۲؛ والسند فی المسند صحیح، رواه عن أبی عامر عبدالملک بن عمر العقدی عن کثیر بن زید عن داوود بن أبی صالح.

ص: ۱۱۸

طریـده المشـهورین ببغض البیت الهاشـمی الرفیع، والحاقـد المنـافق المتهاون بشأن النبی صـلی الله علیه و آله و سـلم یعترض علی أبی أیوب علی عمله المشـروع وهو یجابهه بقوله: نعم جئت رسول صـلی الله علیه و آله و سـلم الحی المرزوق عند ربّه بصـریح القرآن ثم یعقبه بما یسوؤه من قوله: سمعت رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم ... تعریضا بما فیه من عدم الأهلیة والصلاحیة.

والذهبی یُعرف مروان بقوله «له اعمال موبقة نسأل اللّه السلامة، رمی طلحة بسهم وفعل ما فعل (۱)».

۴. التبرک بمنبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم

التبرک بمنبر النبی صـلی الله علیه و آله و سـلم کان أمراً رائجاً بین أصـحاب النبی صلی الله علیه و آله و سلم وقد أقرّه أحمد بن حنبل ففی کتاب «العلل»: سأل عبداللّه أباه(أحمد بن حنبل) قال: سألته عن الرجل یمس منبر النبی صـلی الله علیه و آله و سلم ویتبرّک بمسه ویقبّله ویفعل بالقبر مثل ذلک أو نحو هـذا یریـد بـذلک التقرب إلی اللّه جلّ وعز؟ فقال: لا بأس بذلک. (۲) وجاء فی عمدة القارئ: قال شیخنا زین الدین

۱- میزان الاعتدال: ۴ رقم الترجمة ۸۴۲۲.

۲- کتاب العلل ومعرفة الرجال: ۲/ ۴۹۲، الرقم ۳۲۴۳.

ص: ۱۱۹

أخبرنی الحافظ أبو سعید بن العلائی قال: رأیت فی کلام أحمد بن حنبل فی جزء قدیم علیه خطّ ابن ناصر وغیره من الحفاظ: إن الإمام أحمد سئل عن تقبیل قبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم وتقبیل منبره فقال: لا بأس بذلک. (۱) قال: فأریناه للشیخ تقی الدین بن تیمیة فصار یتعجب من ذلک ویقول: عجبت، أحمد عندی جلیل یقوله [کذا] هذا کلامه أو معنی کلامه، وقال: وأی عجب فی ذلک وقد روینا عن الإمام أحمد انّه غسل قمیصاً للشافعی وشرب الماء الذیغسله به، وإذا کان هذا تعظیمه لأهل العلم فکیف بمقادیر الصحابة وکیف بآثار الأنبیاء علیهم الصلاة والسلام. (۲) والعجب أن ابن تیمیة أثبت ذلک فی «الجواب الباهر» (۳).

ومن المعلوم أن فتوی الإمام أحمد بجواز التبرک بمنبر النبی بالمس لیس إلّاعلی السیرة السائدة بین المسلمین

۱- عمدة القاریء: ۹/ ۲۴۱، کتاب الحج، باب ما ذکر فی الحجر الأسود.

۲- عمدة القاریء: ۹/ ۲۴۱؛ ابن الجوزی فی مناقب أحمد: ۴۵۵؛ تاریخ ابن کثیر: ۱۰/ ۳۳۱.

۳- الجواب الباهر لزوّار المقابر: ۳۱.

ص: ۱۲۰

حیث کانوا یتبرکون بمنبر الرسول ویدل علی ذلک ما رواه أبو بکر بن أبی شیبة عن زید بن الحباب، قال حدثنی أبو مودود، قال: حدثنی یزید بن عبدالملک بن قسیط، قال:

رأیت نفراً من أصحاب النبی صلی الله علیه و آله و سلم إذا خلا لهم المسجد قاموا إلی رمّانة المنبر القرعاء فمسحوها ودعوا، قال: ورأیت یزید یفعل ذلک، وهذا کان لما کان منبره الّذی لامس جسمه الشریف (۱).

فهل کان المنبر الّذی أفتی الإمام أحمد بمسّه والتبرک به هو نفسَ المنبرِ الموجود فی عصر الرسول صلی الله علیه و آله و سلم؟ أو أن حوادث الدهر بدّلته وجاءت بغیره مکانه؟

والعجب أن محقّق کتاب «العلل ومعرفة الرجال» لمّا وقف علی النص الأوّل من إمامه أحمد ورأی أن ذلک لا یوافق رأیه أخذ بتأویله وقال: وهذاکان لما کان منبره الّذی لامس جسمه الشریف، وامّا الآن بعد ما تغیّر، لا یقال بمشروعیة مسّه تبرکاً به. (۲) وکأنّ القوم لما فوجئوا بهذا الکم الهائل من الأحادیث الدالّة علی التبرک بآثار النبی من غیر فرق بین مس جسده

۱- المصنف: ۲/ ۱۴۳۵ برقم ۱۵۸۷۶.

۲- العلل ومعرفة الرجال: ۲/ ۴۹۲، التعلیقة.

ص: ۱۲۱

الشريف وغيره أخذوا بالتأويل والتفصيل بين ما مس جسده وغيره، فهدموا ما بنوه فی مجال التوحيد حيث قالوا بأن مقتضی توحيد الربوبية خلع الأشياء عن التأثير، ذاتياً وتبعيّاً.

٥. تبرک ريحانة الرسول بقبر أبيها

ذكر جمع من المؤرخين أن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام حضرت عند قبر أبيها وأخذت قبضة من تراب القبر تشمه وتبكی قائلة:

ماذا علی من شم تربة أحمد ألّا يشمّ مدی الزمان غواليا؟

صبّت علیّ مصائب لو أنها صبّت علی الأيام صرن لياليا (۱)

إن عمل السيدة الزهراء المعصومة هذا لا يدلّ إلّاعلی جواز التبرّک بقبر رسول اللّه وتربته الطاهرة.

۱- رواه غير واحد من المؤرخين والمترجمين. لاحظ: القسطلانی، ارشاد الساری: ۲/ ۳۹۰؛ والسمهودی فی وفاء الوفاء: ۲/ ۴۴۴. ونقله أيضاً فی ج ۴/ ۱۴۰۵ عن تحفة ابن عساکر.

ص: ۱۲۲

۶. تبرّک الشیخین بتربة قبره

اشارة

لقد استأذن الشیخان بالدفن فی حجرة النبی الأکرم صلی الله علیه و آله و سلم لیصبحا ضجیعیه فی قبره الشریف، فهل النقطة الّتی دفن فیها کل من الشیخین مست جسد النبی صلی الله علیه و آله و سلم، أو أن الشیخین اکتفیا بالانتماء بالقرب من النبی صلی الله علیه و آله و سلم؟

وهذا أمر معروف فی التاریخ ومشهود لکل عارف لایحتاج إلی ذکر مصدر. (۱) إلی هنا تبیّن أنّه لافرق فی التبرک بآثار النبی فی کل ما ینتمی إلیه ویمّت إلیه بصلة من غیر فرق بین ما مسّ جسده الشریف وبین غیره، وهلم معی إلی دراسة بقیة کلامه.

استلام الحجر الأسود

قال الشیخ: والأحادیث فی ذلک کثیرة، فالواجب علی المسلمین التقید فی ذلک بما شرعه اللّه کاستلام الحجر الأسود وتقبیله،

۱- نکفتی بالقلیل عن الکثیر ومنه، صحیح البخاری، کتاب الاعتصام بالکتاب والسنّة، برقم ۷۳۲۸.

ص: ۱۲۳

واستلام الرکن الیمانی، فلهذا صحّ عن عمر بن الخطاب أنّه قال لمّا قبل الحجر الأسود: انی اعلم أنک حجر لا تضّر ولاتنفع ولولا انی رأیت النبی صلی الله علیه و آله و سلم یقبّلک ما قبلتک. (۱) وبذلک یعلم أن استلام بقیة ارکان الکعبة، وبقیة الجدران والأعمدة غیر مشروع لأن النبی صلی الله علیه و آله و سلم لم یفعله ولم یرشد إلیه، ولأن ذلک من وسائل التبرک، وهکذا الجدران والأعمدة والشبابیک وجدران الحجرة النبویة من باب أولی، لأن النبی صلی الله علیه و آله و سلم لم یشرع ذلک ولم یرشد إلیه ولم یفعله أصحابه.

یلاحظ علیه: أن ما نقل عن عمر بن الخطاب، وإن کان مشهوراً لکن المظنون أنّه نقل مبتوراً، وقد روی عن أئمة أهل البیت علیهم السلام أنّه بعدما قال عمر بن الخطاب ما قال، قال أمیر المؤمنین علی علیه السلام: کیف یابن الخطاب فواللّه لیبعثنّه یوم القیامة وله لسان وشفتان فیشهد لمن وافاه، وهو عین اللّه عزّوجل فی أرضه یُبایع بها خلقُه،

۱- صحیح مسلم: ۳/ ۱۳۴۳/ ۱۷۱۸.

ص: ۱۲۴

فقال عمر: لا أبقانا اللَّه فی بلد لا یکون فیه علی بن أبی طالب. (۱) وجاء فی(عمدة القارئ) بعد کلام عمر: قال علیٌّ رضی الله عنه: انّه یضرّ وینفع .. إلی أن قال: وانی أشهد لسمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم یقول: یؤتی یوم القیامة بالحجر الأسود وله لسان زلق یشهد لمن استلمه بالتوحید فهو یا أمیر المؤمنین یضر وینفع، فقال عمر: اعوذ باللَّه من قوم لیس فیهم أبو الحسن.

ونقل عن ابن‌عباس ان هذا الرکن الاسود هو یمین‌اللَّه فی الأرض یصافح به عباده مصافحة الرجل أخاه. (۲) ولا بأس فیما روی لأنّه سبحانه یُنطقه کما انّه یُنطق کل الأشیاء ویُنطق جوارحنا علی اعمالنا. قال سبحانه:

«وَ قَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَیْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الذِی

۱- الصدوق: علل الشرائع: ۴۲۶. والمستدرک للحاکم: ۱ / ۴۵۸، کتاب المناسک وضعفه الذهبیّ فی تلخیصه لوقوع أبی هارون العبدی فی سنده وتبعه ابن حجر فی فتح الباری: ۳/ ۴۶۳، والعینی فی عمدة القارئ: ۹/ ۲۴۰. ولیس له أی ذنب سوی کونه شیعیّاً مع ان الذهبی نفسه قال فی ترجمة ابان بن تغلب الشیعی: لو ردّ حدیث هؤلاء(الشیعة) لذهب جملة من الآثار النبویّة وهذه مفسدة بیّنة. میزان الاعتدال: ۱/ ۵.

۲- عمدةالقارئ: ۹/ ۲۴۰.

ص: ۱۲۵

أَنْطَقَ کُلَّ شَیءْ» (۱).

وقد روی معاویة بن عمّار عن الإمام الصادق علیه السلام:

«إذا دنوتَ من الحجر الأسود، فارفع یدیک وأحمد اللَّه وأثن علیه وصلّ علی النبی صلی الله علیه و آله و سلم واسأل اللَّه أن یتقبل منک، ثم استلم الحجر وقبّله فان لم تستطع أن تقبله فاستلمه بیدک، فإن لم تستطع أن تستلمه بیدک فأشر إلیه، وقل: «اللهم أمانتی أدّیتها ومیثاقی تعاهدتهُ، لتشهد لی بالموافاة، اللهم تصدیقاً بکتابک وعلی سنة نبیک، أشهد ان لا إله إلّااللَّه وحده لا شریک له، وأن محمداً عبده ورسوله آمنت باللَّه، وکفرت بالجبت والطاغوت وباللات والعزّی وعبادة الشیطان وعبادة کل ندّ یُدعی من دون اللَّه» (۲).

ثم إن فی کلام عمر بن الخطاب دلیلًا واضحاً علی أن من مسح وتبرک بشیء من دون أن یعتقد تأثیر الممسوح والمستلم فیه أمر جائز، وأنّ من فعل ذلک لا یرمی بالشرک ولا بالبدعة إذا لم ینسبه إلی الدین، ولذلک فإن عمر بن الخطاب قبّل الحجر الأسود معتقداً بأنّه لا ینفع ولا یضرّ إلّا باذن اللَّه.

۱- فصلت: ۲۱.

۲- التهذیب للطوسی: ۵/ ۱۰۱/ ۳۲۹.

ص: ۱۲۶

وامّا تبریر عمله بفعل النبی لأجل أنّه استلم الحجر بما أنّه أحد آداب الزیارة، فلم یجد بداً من ان یذکر دلیلًا لما أتی به مع العلم بأنّه لا ینفع ولا یضرّ فقال: لولا أنی رأیت أن رسول اللّه قبلک ما قبلتک.

فعلی ضوء هذا فلیس لأحد أن یمنع احداً من تقبیل الجدران والشبابیک والأبواب للحجرة النبویة إذا لم یعتقد فیمایقبله أی نفع ولا ضرر ولم یجعل عمله جزءاً من الدین ولم ینسبه إلی النبی وإنّما دفع إلیه حبُّه وشوقُه لصاحب هذا المقام، أو ان یمنع من استلام بقیة أرکان الکعبة إذا لم یکن بدافع أنها تضر وتنفع ولا أن ذلک جزء من الدین والشریعة بل کان الدافع حبّه لهذه المواقع والمشاهد المبارکة بما أنها مطاف الملائکة ومحلّ نزول الرحمة.

علی انَّ استلام سائر الارکان مختلف فیه بین الصحابة قال ابن حجر «روی ابن المنذر وغیره استلام جمیع الارکان عن جابر وانس، والحسن والحسین من الصحابة وعن سوید بن أبی غفلة من التابعین (۱).

۱- لاحظ فتح الباری: ۳/ ۴۶۲ برقم ۱۵۹۷، و ص ۴۷۳ برقم ۱۶۰۸؛ و عمدة القاری: ۹/ ۲۴۱.

ص: ۱۲۷

۳. عبداللّه بن عمر وتتبع آثار النبی صلی الله علیه و آله و سلم

قال الشیخ: واما ما نقل عن ابن عمر من تتبع آثار النبی صلی الله علیه و آله و سلم واستلامه المنبر فهذا اجتهاد منه لم یوافقه علیه أبوه ولا غیره من أصحاب النبی، وهم أعلم بهذا الأمر وعملهم موافق لما دلّت علیه الأحادیث الصحیحة، وقد قطع عمر الشجرة الّتی بویع تحتها النبی صلی الله علیه و آله و سلم فی الحدیبیة لما بلغه أن بعض الناس یذهبون إلیها ویصلون عندها خوفاً من الفتنة بها وسداً للذریعة.

إن کلامه هذا یشتمل علی أمرین:

۱. إن عبداللّه بن عمر هو الوحید فی تتبع آثار النبی صلی الله علیه و آله و سلم والمنبر الّذی جلس علیه وأنّه لم یوافقه علیه أبوه ولاغیره من أصحاب النبی صلی الله علیه و آله و سلم.

۲. إن عمر بن الخطاب لمّا بلغه أن بعض الناس یذهبون إلی الشجرة قطعها.

وإلیک الکلام فی الأمر الأوّل:

یلاحظ علیه أوّلًا: اذاکان التبرک بما مس جسد النبی أمراً مشروعاً وجائزاً ودارجاً بین الصحابة لم یکن عمل ابن عمر خارجاً عن هذه القاعدة حیث کان یقتصّ آثار النبی

ص: ۱۲۸

ویتتبّع ما مس جسده الشریف کالمساجد الّتی صلّی فیها واستلام المنبر وغیر ذلک، فبذلک ظهر ما فی قول الشیخ:

«فهذا اجتهاد منه لم یوافقه علیه أبوه ولاـغیره من أصحاب النبی وهم أعلم بهذا الأمر». فان عمله کان علی اساس رصین دارج بین الصحابة حیث کانوا یتبرّکون بما مس جسده الشریف، وکان عبداللّه بن عمر فی غنی عن موافقة أبیه ولا موافقة غیره إذا کانت سیرة جمهرة الصحابة مصدِّقة لعمله.

وثانیاً: نفترض أنّ عمله کان خارجاً عن تلک القاعدة فما هو المبرّر فی تقدیم اجتهاد الوالد علی الولد مع انهما مجتهدان للمصیب اجران وللمخطئ اجر واحد.

وثالثاً: لو کان عمل ابن عمر بدعة أو شرکاً اوذریعة للشرک کان علی الصحابة أن یمنعوهُ وینصّوا علی ذلک أو یبدوا مخالفتهم، ولم یرد فی ذلک أی ردّ ولا نقد ولا منع، بل کان سکوتهم تقریراً لعمله ومع ذلک کیف یقول الشیخ: لم یوافقه علیه أحدٌ.

هذا کان حول الأمر الأوّل، وإلیک الکلام فی الأمر الثانی.

ص: ۱۲۹

قصة قطع الشجرة

اما ما ذكره من أن عمر بن الخطاب لما بلغه أن بعض الناس يذهبون إليها ويصلون عندها قطعها خوفاً من الفتنة بهاوسدّاً للذريعة، ففيه مجال للبحث والنقاش.

أما أوّلًا: فقد نقل هذه القصة ابن سعد فى طبقاته فى احداث غزوة الحديبية عن نافع قال: كان الناس يأتون الشجرة الّتى يقال لها شجرة الرضوان فيصلون عندها، قال:

فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت. (۱) يلاحظ عليه:

أوّلًا: ان السند منقطع ولم يسنده نافع إلى شيخ من مشايخه فلايحتج بالسند المقطوع.

وثانياً: أن هناك دلائل واضحة على أن الشجرة صارت مجهولة لأصحاب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فى العام التالى فكيف يمكن أن تعرف فى عهد عمر حتّى يأتى الناس إليها ويصلون تحتها حتّى يأمر بقطعها، ويدل على ذلك أمران:

۱. ما رواه البخارى قال: قال ابن عمر: رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة الّتى بايعنا

۱- الطبقات الكبرى: ۲/ ۱۰۰، ط دار صادر.

ص: ۱۳۰

تحتها، كانت رحمة من اللَّه، فسألت نافعاً على أى شىء بايعهم؟ على الموت؟ قال: لا، بايعهم على الصبر. (۱) وقدعلل ابن حجر فى فتح البارى خفاء الشجرة بقوله: ان الحكمة فى ذلك لا يحصل بها افتتان ثم قال: وإلى ذلك اشار ابن عمر بقوله: «كانت رحمة من اللَّه».

ثم قال: ويحتمل ان يكون معنى قوله: «رحمة من اللَّه» أى كانت الشجرة موضع رحمة ومحل رضوانه لنزول الرضا على المؤمنين عندها (۲).

أقول: انالتفسير الثانى هوالصحيحوذلك لتأنيث الفعل فالضمير(ت) فى «كانت» يرجع إلى الشجرة لا إلى الخفاء.

وعلى كل تقدير فالحديث يدل على خفاء الشجرة فى العام التالى.

۲. ان ابن سعد ينقل أيضاً نفس هذا الموضوع ويذكر استنكار سعيد قول من إدعى بقاءها وتعرفه عليها. فروى عن طارق قال: انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلّون فقلت:

ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع النبى صلى الله عليه و آله و سلم، بيعة الرضوان؛ فأتيت سعيد بن المسيّب فاخبرته، فقال:

۱- البخارى: رقم الحديث ۲۹۵۸، طبع دار الفكر.

۲- فتح البارى: ۶/ ۸۹، طبع دار إحياء التراث.

ص: ۱۳۱

حدّثنى أبى أنّه كان فى من بايع رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم تحت الشجرة، فقال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها. قال سعيد: إن كان أصحاب محمد لم يعلموها وعلمتموها أنتم فأنتم أعلم. (۱) فقوله: «إن كان أصحاب محمد لم يعلموها ...» استنكار لادعائهم، فإذا كان أصحاب رسول اللّه غير عارفين بها، فالأولى أن يكون المتأخرون غير عارفين بها.

ان هذه الروايات تدلّ على أن جمعا من الصحابة والتابعين كانوا يأتون الشجرة، ويحسبون أنها هى الشجرة الّتى تمت البيعة تحتها فيتبركون بها ولم يمنعهم سائر الصحابة ولا غيرهم فيدل على جواز التبرك بما لم يُمسّه جسده الشريف.

وكفانا فى المقام عن استرسال الكلام ما حقّقه الأُستاذ حسن السقاف فى مقاله فراجعه.

التوسل بالأنبياء والأولياء

اشارة

قال الشيخ: واما دعاء الأنبياء والأولياء والاستغاثة بهم والنذر لهم ونحو ذلك فهو الشرك

۱- الطبقات الكبرى ابن سعد: ۲/ ۹۹. ط دار صادر.

ص: ۱۳۲

الأكبر، وهو الّذى كان يفعله كفار قريش مع أصنامهم وأوثانهم، وهكذا بقية المشركين يقصدون بذلك أنها تشفع لهم عندالله، وتقربهم إليه زلفى، ولم يعتقدوا أنها هى الّتى تقضى حاجاتهم وتشفى مرضاهم وتنصرهم على عدوهم كما بيّن اللّه سبحانه ذلك عنهم فى قوله سبحانه: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَايَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» (۱)

فرد عليهم سبحانه بقوله: «قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِى الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» (۲)

.

وقال عزوجل فى سورة الزمر: «فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ* أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِى مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ» (۳)

۱- يونس: ۱۸.

۲- يونس: ۱۸.

۳- الزمر: ۲- ۳.

ص: ۱۳۳

فأبان سبحانه فی هذه الآیة الکریمة: أنّ الکفار لم یقصدوا من آلهتهم أنهم یشفون مرضاهم، أو یقضون حوائجهم وإنّما أرادوا منهم أنهم یقربونهم إلی اللّه زلفی، فأکذبهم سبحانه وردّ علیهم قولهم بقوله سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ لَایَهْدِی مَنْ هُوَ کَاذِبٌ کَفَّارٌ» فسماهم کذبة وکفاراً بهذا الأمر.

انتهی.

أقول: ما ذکره الشیخ فی المقام قد سمعنا مثله من کافة من سلک مسلک ابن تیمیة ویعتقد منهج تلمیذه ابن عبدالوهاب. فهم جمیعاً یستدلون بهذه الآیات علی أن دعاء الأنبیاء والأولیاء عبادة لهم نظیر دعاء المشرکین الهتهم المزعومة حیث کان دعاؤهم لها عبادة لهم. وهذا هو بیت القصید ومفترق الطرق بین منهج أحمد بن تیمیة ومنهج الآخرین.

ولو بُذلت الجهود فی تنقیح الأمرین التالیین لقصرت الفاصلة بین المنهجین، ولکن مع الاسف ان الشیء الّذی لم یرکزوا علیه منذ أن ظهر هذا المنهج فی القرن الثامن إلی

ص: ۱۳۴

یومنا هذا، هو ما سنذکره فی التالی:

۱. تعریف العبادة وتحدید معناها.

۲. عرض التمسح والتوسل علی الضابطة.

۳. عقیدة المشرکین فی دور معبوداتهم فی قضاء الحوائج.

ولو أُقیم مؤتمر حول هذه الأُمور علی نحو یمیز الإنسان بین العبادة والتکریم ویتبین مبادئ الدعاء بین الفریقین لسقط عامة ما یستدلون به من الآیات علی أن دعوی الأنبیاء والأولیاء والتوسل بهم شرک وبدعة، وعلی ضوء ذلک فسنرکز جهدنا فی شرح کلا هذین الأمرین، مبتدئین بالمورد الأوّل:

۱. تعریف العبادة وتحدید معناها

ان أصحاب المعاجم وان فسروا العبادة بالخضوع والتذلل أو الطاعة (۱). لکن تفسیرها بها تفسیر بالأعم ولیس تعریفاً دقیقاً جامعاً مانعاً، بشهادة ان القرآن الکریم یحث بصراحة علی الخضوع للوالدین أوّلًا، ویقول سبحانه:

«وَاخْفِضْ لَهُمَا جُنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ» (۲)

، ویأمر الملائکة

۱- لسان العرب؛ مفردات الراغب؛ القاموس المحیط؛ مقاییس اللغة: مادة «عبد».

۲- الاسراء: ۲۴.

ص: ۱۳۵

بالسجود لآدم، ثانیاً، ویقول: «وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِکَةِ اسْجُدُوا» (۱)

، ویحکی عن أن نبی اللّه یعقوب وزوجته واولادهما سجدوا لیوسف، ثالثاً، ویقول سبحانه: «وَ رَفَعَ أَبَوَیْهِ عَلَی الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا» (۲)

، فالسجود من أعلی مظاهر الخضوع ومنتهاه مع أنّه لم یکن عبادة لآدم ولا لیوسف.

ومن المعلوم أن السجود لو کان عبادة للمسجود له فلا یخرج عن کونه عبادة بأمره سبحانه، فالعبادة عبادة سواء أمر بها أو لم یؤمر.

کل ذلک یدفعنا إلی تعریف العبادة تعریفاً دقیقاً حتّی تخرج هذه الموارد من تحتها.

فنقول: إن العبادة تتقوم بعنصرین ولا یغنی احدهما عن الآخر:

الأوّل: الاعتقاد الخاص فی حق المعبود، أعنی

۱- البقرة: ۳۴.

۲- یوسف: ۱۰۰.

ص: ۱۳۶

الاعتقاد بأنّه رب اوبیده مصیر العابد عاجلًا وآجلًا فی تمام شؤون الحیاة أو بعضها، فلو کان الخضوع والتذلل مجرّداً عن هذا الاعتقاد لا یُعدّ العمل عبادة.

نعم یمکن أن یکون حراماً موجباً للعقاب لا لأنه عبادة، بل لکونه عملًا محرماً کسائر المحرمات کما هو الحال فی السجود فی الشریعة الإسلامیة لغیر اللّه إذ انّه یحرم حتّی وان کان عاریاً عن ذلک الاعتقاد، للنهی عنه لغیره سبحانه.

الثانی: العمل الحاکی عن الخضوع، ویکفی فی ذلک ابسط الخضوع إلی اعلاه سواء أکان باللفظ والبیان أم بسائر الجوارح.

فإذا کان الخضوع نابعاً عن الاعتقاد الخاص فی حق المخضوع له یوصف العمل بالعبادة.

اما العنصر الثانی فلم یختلف فی وجوده اثنان، إنما الکلام فی مدخلیة العنصر الأوّل فی صدق العبادة ودخوله فی واقعها، وهذا یُعلم من دراسة عبادة الموحدین والمشرکین.

لم یکن الموحِّد والمشرک منفکَّین- فی عبادتهما- عن اعتقاد خاص لمعبودهم، وهو الّذی کان یدفعهم إلی الخضوع والتذلل، ولولاه لما سجدوا وما خضعوا وما تذلّلوا.

کانوا یرون أن العزة والذلة والنصرة والهزیمة وما یفید وما یضر الإنسان فی حیاته بید معبوداتهم.

غیر أن الموحّد کان یؤمن بأن هذه الأُمور بید اللّه

ص: ۱۳۷

تعالی الّذی اعطی کل شیء خلقه ثم هدی، ولکن المشرک یعتقد بأن هذه الأُمور فوّضت إلی آلهتهم المزعومة. وهذا ما تشرحه لنا الآیات التالیة.

۱. الموحد یعبد اللّه سبحانه لان العزة والذلة بیده سبحانه قال تعالی: «فَلِلهِ الْعِزَّةُ جَمِیعاً» (۱).

ویقول: «وَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ» (۲).

واما المشرک فهو یعبد الآلهة المزعومة باعتقاد أن العزة بیدها کما یحکی عنهم سبحانه ویقول: «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِیَکُونُوا لَهُمْ عِزًّا» (۳).

۲. الموحد یعبد اللّه سبحانه لان النصر بید اللّه سبحانه کما یقول تعالی: «وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِیزِ الْحَکِیمِ» (۴).

واما المشرک فهو یعبد الاصنام منطلقاً من أن النصر بیدهم کما یحکیه سبحانه ویقول: «وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ یُنْصَرُونَ» (۵).

۱- فاطر: ۱۰.

۲- آل عمران: ۲۶.

۳- مریم: ۸۱.

۴- آل عمران: ۱۲۶.

۵- یس: ۷۴.

ص: ۱۳۸

۳. ان الموحد یعبد اللَّه سبحانه منطلقاً من ان الشفاعة بید اللَّه سبحانه وانّه لا یشفع احد إلّابأذنه.

قال سبحانه: «قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِیعًا لَهُ مُلْکُ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ» (۱).

ولکن المشرک یعتقد بأن الالهة المزعومة تملک الشفاعة وانهم یشفعون لعبدتهم، ولذلک یرد سبحانه علی عقیدتهم بأنّه: «مَا مِنْ شَفِیعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ» (۲).

۴. ان الموحد یعبد اللَّه سبحانه بحجة ان مصدر النعم والنقم هو اللَّه سبحانه، وهذا هو منطق الموحد الّذی یحکیه سبحانه عن النبی إبراهیم الخلیل علیه السلام: «الـذِی خَلَقَنی فَهُوَ یَهْدِینِ* وَالـذِی هُوَ یُطْعِمُنی وَیَسْقِینِ* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ یَشْفِینِ* وَالـذِی یُمِیتُنی ثُمَّ یُحْیِینِ* وَالذِی أَطْمَعُ أَنْ یَغْفِرَ لِی خَطِیئَتِی یَوْمَ الدِّینِ» (۳).

ان إبراهیم علیه السلام- بطل التوحید- ینسب إلی اللَّه الواحد

۱- الزمر: ۴۴.

۲- یونس: ۳.

۳- الشعراء: ۷۸- ۸۲.

ص: ۱۳۹

الأحد الأفعال التالیة: الهدایة، الإطعام والسقی، الشفاء من المرض، الموت والحیاة، وغفران الذنوب. وبما أنّه علیه السلام فی مقام الرد علی مشرکی عصره فی مدینة(بابل) یظهر لنا وبجلاء- من خلال عنصر المقابلة- أنّهم کانوا یعتقدون أن تلک الأفعال والنعم بید آلهتهم الباطلة، إذ بإمکانها أن تهدیهم وتطعمهم وتسقیهم وتشفیهم من الأمراض وتمیتهم وتحییهم و ... ومن هنا خضعوا لها وعبدوها.

۵. ان الموحد یعتقد بأنّه لیس للّه‌سبحانه ند ولا- مثل لا فی الذات ولا فی الصفات ولا فی الافعال، وان الأنبیاء والأولیاء عباد للّه‌لا یملکون لانفسهم ضراً ولا- نفعاً ولا حیاة ولا موتاً غیر انّه سبحانه أکرمهم واعزهم وجعل لکل منهم مقاماً معلوماً یستجاب دعاؤهم، وتنزل الرحمة بطلبهم.

واما المشرک فهویعتقد بان الاصنام والاوثان انداد للّه سبحانه، قال سبحانه: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا یُحِبُّونَهُمْ کَحُبِّ اللهِ» (۱)

والانداد لغة جمع «ند» بمعنی المثل والنظیر، بمعنی أنهم یعتقدون أنّ الهتهم تناظر اللّه وتشابهه فی القدرة علی القیام بالأفعال الّتی یقوم بها سبحانه من الاحیاء والاماتة والرزق والشفاء والهدایة وغفران الذنوب وحطّ الخطایا.

۱- البقرة: ۱۶۵.

ص: ۱۴۰

۶. ان الموحد یعتقد بأن اللّه سبحانه لا یماثله ولا یساویه ولا یدانیه شیءٌ من المخلوقات. اخذاً بقوله:

«لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیءٍ وَهُوَ السَّمِیعُ الْبَصِیرُ» (۱)

وقوله تعالی:

«لَهُ مَقَالِیدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشَاءُ وَیَقْدِرُ إِنَّهُ بِکُلِّ شَیءٍ عَلِیمٌ» (۲).

أمّا المشرک فهو یعبد الاصنام وینطلق من عقیدة خاصة فیها وهی التسویة بینه سبحانه وبین الآلهة، ولما یتبین له جهله وبطلان عقیدته فسوف یظهر الندامة ویندد بآلهته ویخاطبهم یوم القیامة بقوله: «قَالُوا وَ هُمْ فِیهَا یَخْتَصِمُونَ* تَاللَّهِ إِنْ کُنَّا لَفِی ضَلَالٍ مُبِینٍ* إِذْ نُسَوِّیکُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِینَ» (۳).

فالمراد من التسویة هی التسویة فی الربوبیة وتدبیر العالم والشفاعة وغیرها وحتّی ولو فُسِّرت بالمساواة فی العبادة فهو یلازم عقیدة خاصة فی حق الاصنام وهی صفات الالوهیة إذ لا یعبد إنسان شیئاً إلّالمن یعتقد استحقاقه لها بشیء من الأُمور الغیبیة.

۱- الشوری: ۱۱.

۲- الشوری: ۱۲.

۳- الشعراء: ۹۶- ۹۸.

ص: ۱۴۱

فالآیة تنادی: أنهم کانوا یعتقدون فیها ضرباً من المساواة للحق تعالی عما یقولون.

فالموحد والمشرک وان کانا یصدران عن مبدأین مختلفین ولکن الجمیع یشهد بأن العبادة لا تنفک إلّاعن عقیدة خاصة بالنسبة إلی المعبود غیر أن تلک الخصیصة عند الموحد للّهسبحانه ولکنها لدی المشرکین فی آلهتهم وأصنامهم وأوثانهم.

وعند ذلک نخرج بالنتیجة التالیة بأن مقوم العبادة أمران وان لها عنصرین أحدهما یتقوم باعمال العابد وفعله والثانی یرتبط باعتقاده ومنطلقه.

وعلی ضوء ذلک فلو اردنا ان نعرّف العبادة تعریفاً جامعاً فلنا أن نقول: العبادة هی الخضوع بین یدی من یعتبره رباً. أی مالکاً لمصیر العابد فی الدنیا والآخرة. فإذا اعتقد إنسان بربوبیة المخضوع له فما یصدر عنه من الخضوع لفظاً وعملًا فهوعبادة، ولذلک نری ان المسیح علیه السلام عندما یأمر بعبادة اللّه سبحانه یعلقها بعنوان الربوبیة، کما حکاه عنه: «وَ قَالَ الْمَسِیحُ یَا بَنِی إِسْرَائِیلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّی وَرَبَّکُمْ» (۱).

۱- المائدة: ۷۲.

ص: ۱۴۲

وقال سبحانه: «إِنَّ اللهَ رَبِّی وَ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِیمٌ» (۱).

وربّما یعتبر القرآن العبادة من شؤون الخالقیة قال سبحانه: «ذَلِکُمُ اللهُ رَبُّکُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ کُلِّ شَیءْ فَاعْبُدُوهُ» (۲).

فلو کان الخضوع نابعاً عن تلک العقیدة فهوعبادة للمخضوع له وإن لم یبلغ غایته. واما إذا کان نابعاً عن غیر تلک العقیدة مثلًا بما انّه عالم خادم للأُمة فلا یعد عبادة وأن لم یبلغ غایته، ولنفسر ذلک بالمثال التالی:

انظر إلی نفسک فانّه قد یقضی علیک أدبک مع أبیک و احترامک له أن لا تسمح لنفسک بالجلوس أو الاضطجاع بین یدیه، فتقف أو تقعد ساعة أو فوقها، و لا یکون ذلک منک عبادة له، لماذا؟ لأنّه لم یقارن هذا الفعل منک اعتقاد شیء من خصائص الربوبیة فیه. و تقف فی الصلاة قدر الفاتحة و تجلس فیها قدر التشهد و هو قدر دقیقة أو

۱- آل عمران: ۵۱.

۲- الانعام: ۱۰۲.

ص: ۱۴۳

دقیقتین فیکون ذلک منک عبادة لمن صلّیتَ له، و سرّ ذلک هو أنّ هذا الخضوع المتمثل فی قیامک و قعودک یقارنه اعتقادک الربوبیة لمن خضعتَ له عزّوجل.

وتدعو رئیسک فی عمل من الأعمال أو أمیرک أن ینصرک علی باغ علیک أو یغنیک من أزمة نزلت بک و أنت معتقد فیه انّه لا یستقل بجلب نفع أو دفع ضر، و لکن اللّه جعله سبباً فی مجری العادة یقضی علی یدیه من ذلک ما یشاء تفضلًا منه سبحانه، فلا یکون ذلک منک عبادة لهذا المدعوّ، و أنت علی ما وصفنا، فإن دعوتَه و أنت تعتقد فیه أنّه مستقل بالنفع، أو الضرّ، أو نافذ المشیئة مع اللّه لا محالة، کنت له بذلک الدعاء عابداً، وبهذه العبادة أشرکته مع اللّه عزّوجلّ، لأنّک قد اعتقدت فیه خصیصة من خصائص الربوبیة، فانّ الاستقلال بالجلب أو الدفع و نفوذ المشیئة لا محالة هو من خصائص الربوبیة، والمشرکون إنّما کفروا بسجودهم لأصنامهم و نحوه لاعتقادهم فیها الاستقلال بالنفع، أو الضرّ ونفوذ مشیئتهم لا محالة مع اللّه تعالی، و لو علی سبیل الشفاعة عنده، فانّهم یعتبرونه الربّ الأکبر ولمعبوداتهم ربوبیة دون ربوبیته، و بمقتضی ما لهم من الربوبیة وجب لهم نفوذ المشیئة معه لا محالة.

وبالامعان فیما ذکرنا یتبین لک صدق أمرین:

الأوّل: ان العنصر المهم فی صدق العبادة هو الاعتقاد

ص: ۱۴۴

بأن المخضوع له یتمتع بقدرة غیبیة وراء القدرة العادیة الموجودة فی عامة الناس والّتی یقوم بها بقضاء حاجة من یعبده. وقد عرفت أن الفریقین الموحدین والمشرکین کانا متفقین علی ذلک، وان کانا مختلفین فیمن یتمتع بهذه القدرة.

الثانی: ان الاعتقاد بالقدرة الغیبیة فی المعبود هو عبارة أُخری عن الاعتقاد بکونه ربّاً بیده مصیر العابد إما فی کل الأُمور کما هو الحال فی عقیدة المؤمن باللَّه سبحانه، أو فی بعض الأُمور کالاعزاز والاذلال والنصر والخذلان والشفاعة ومغفرة الذنوب وغیر ذلک من الأُمور کما هو الحال فی عقیدة المشرک، فکان العابد علی الاطلاق ینطلق من الاعتقاد بربوبیة المعبود.

ویؤید ذلک ان سیدنا المسیح یدعو بنی إسرائیل إلی عبادة اللَّه سبحانه ویقول: «یَا بَنِی إِسْرَائِیلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّی وَ رَبَّکُمْ» (۱)

، وفی آیة أُخری: «إِنَّ اللهَ رَبِّی وَ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِیمٌ» (۲)

نری أنّه- صلوات اللَّه علیه- یعلق الحکم علی عنوان الرب فی کلتا الآیتین، وهو یدلّ علی أن الموحدین والمشرکین متفقون فی هذا الأصل

۱- المائدة: ۷۲.

۲- آل عمران: ۵۱.

ص: ۱۴۵

وهو أن العبادة من شؤون الربوبية فمن كان رباً فهو مستحق للعبادة دون غيره، لكن المشرك خاطئ فى الصغرى أى فى الاعتقاد بربوبية معبوداته، ولذلك نرى يوسف يتكلم بلسان القوم ويصف الهتهم بالربوبية ويقول: «أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» (۱).

إلى هنا تم تحديد العبادة تحديداً منطقياً معتمداً على الكتاب وما درج عليه العُبّاد فى عباداتهم سواء أكان المعبود مستحقاً للعبادة أم غير مستحق. فهلمّ معى، نعرض ما يقوم به المسلمون فى الحرمين الشريفين على الضابطة.

۲. عرض التمسح والتوسل على الضابطة

وعلى ضوء ذلك نعرض على هذه القاعدة الاعمال الّتى يقوم بها عشاق الحرم النبوى أو الحرم المكى من التمسح بالجدران وتقبيل الشبابيك وغير ذلك، فقد وصفها الشيخ بكونها شركاً وعبادة لغير اللّه، كما عدّ طلب الحاجات منهم ودعاءَهم كذلك.

كان على الشيخ ان يُفرّق بين أمرين- فهو قد رمى

۱- يوسف: ۳۹.

ص: ۱۴۶

الجميع بسهم واحد- وهو هل المتبرك والمتمسح والداعى يعتقد فى الأبواب والجدران والشبابيك واركان الكعبة والنبى والأولياء قدرة غيبية خارقة للعادة يقدر بها المعبود على إنجاز حاجته، أو أنّه يتمسح ويقبل ويتبرك حباً بالنبى وآثاره من دون أن يعتقد أى تأثير غيبى فيها.

لا أظن أن الشيخ يجد على اديم الأرض أو فى الحرمين الشريفين من يقوم بهذه الاعمال، فعامة المسلمين من كل الطوائف لا ينطلقون إلّامن مبدأ الحب والتكريم لا غير.

كما أن دعاءهم والاستغاثة بهم ليس إلّالأجل طلب الدعاء منهم، فهم ينطلقون بعد رحلة النبى صلى الله عليه و آله و سلم عما كانوا ينطلقون فى حياته، فقد أمر اللَّه سبحانه المؤمنين بالتوسل بدعاء النبى فقال: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً» (۱).

فلوكان طلب‌الدعاء من‌النبى بعد رحيله شركاً وعبادة له يكون الطلب منه فى حال حياته شركاً وعبادة له أيضاً إذ الحياة والموت ليسا ملاكين للتوحيد والشرك، بل اقصى ما

۱- النساء: ۶۴.

ص: ۱۴۷

یمکن ان یقول القائل بأنهما ملاکان للجدوی وعدمها.

وکلامنا فی المقام فی کون الدعوهٔ شرکاً وعدمه، وأما کونها مفیدهٔ أو لا، فهو أمر ثان یطلب لنفسه مجالًا آخر.

۳. عقیدهٔ المشرکین فی دور معبوداتهم فی قضاء الحوائج

لم یزل اساتذهٔ الشیخ من أولهم إلی آخرهم یستدلون علی أن التوسل بالأنبیاء والأولیاء وعلی رأسهم النبی الأعظم صلی الله علیه و آله و سلم شرک بالآیتین التالیتین:

الأُولی: قال تعالی: «وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا یَضُرُّهُمْ وَ لَا یَنْفَعُهُمْ وَ یَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا یَعْلَمُ فِی‌السَّمَاوَاتِ وَلَا فِی الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَی عَمَّا یُشْرِکُونَ» (۱).

الثانیهٔ: قال تعالی: «أَلَا لِلَّهِ الدِّینُ الْخَالِصُ وَ الَّذِینَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِیَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِیُقَرِّبُونَا إِلَی اللهِ زُلْفَی إِنَّ اللهَ یَحْکُمُ بَیْنَهُمْ فِی مَا هُمْ فِیهِ یَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لَا یَهْدِی مَنْ هُوَ کَاذِبٌ کَفَّارٌ» (۲).

۱- یونس: ۱۸.

۲- الزمر: ۳.

ص: ۱۴۸

اما الآيـة الأُولى فقـد ذكر الشـيخ فى كيفيـة الاسـتدلال بها أنّ عمل المسـلمين كعمل بقيـة المشـركين، فقال: إن المشـركين يقصدون بذلك أنها تشـفع لهم عند اللّه وتقربهم إليه زُلفى ولم يعتقدوا انها هى الّتى تقضـى حاجاتهم وتشفى مرضاهم وتنصرهم على عدوهم كما بين اللّه سبحانه ذلك عنهم فى قوله: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَايَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» (۱).

يلاحظ عليه:

أوّلًا: هناك فرق بين عمل المشركين والموحدين فإن المشركين يقومون بعملين مختلفين:

۱. يعبدون أصنامهم وآلهتهم المزعومة كما قال سبحانه: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَايَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ».

۲. يعتقدون بأن آلهتهم شفعاؤهم كما يقول:

«وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» (۲).

۱- يونس: ۱۸.

۲- يونس: ۱۸.

ص: ۱۴۹

وهذا يدل على أن ملاك شركهم هو عبادة غير اللَّه سبحانه، لا قولهم بأن الآلهة شفعاؤهم عند اللَّه.

وعند ذلك فكيف يصح حمل عمل الموحدين على المشركين، أفيصح أن يعطف من يعبد اللَّه سبحانه على مَنْ يعبد الاصنام والأوثان بمجرد اشتراكهما فى الاعتقاد بالشفعاء؟

ثانياً: ان المشركين كانوا يعتقدون بقدرة غيبية فى أصنامهم وأوثانهم وأن الهتهم يقومون بقضاء حاجاتهم مستقلين عن اللَّه سبحانه، وقد مرّت الآيات الّتى تؤكد أنهم كانوا يعتقدون أن العزة والذلة والنصر والخذلان بأيديهم، كما كانوا يعتقدون أنهم يملكون مقام الشفاعة ويشفعون لعبادهم، واين هذا من عمل الموحد الّذى يعتقد بأن العزة والذلة والنصر والخذلان والشفاعة وغيرها بيد اللَّه سبحانه؟!

فمجرد إشتراكهم بالاعتقاد بالشفاعة لا يجمعهم تحت خيمة واحدة مع أن شفعاءَهم شفعاء غير واقعيين بخلاف شفعاء الموحدين كالنبى ومن نص الكتاب والسنة على قبول شفاعتهم.

ومع هذين الأمرين كيف يقول الشيخ: «لم يعتقدوا انها هى الّتى تقضى حاجاتهم وتشفى مرضاهم وتنصرهم على عدوهم؟!».

ص: ۱۵۰

افيصح أن نجعل فى صف واحد مَنْ يسوى بين الاصنام ورب العالمين ويصورها نداً للّه‌سبحانه ومَنْ يعبد اللّه سبحانه ولا يرى له نداً ولا مثلًا ويتلو كل يوم وليلة قوله سبحانه: «قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىءْ قَدِيرٌ» (۱).

وقد روى ابن هشام فى سيرته ان عَمرو بن لُحىّ كان أوّل من أدخل الوثنية إلى مكة ونواحيها، فقد رأى فى سفره إلى البلقاء من أراضى الشام أُناساً يعبدون الأوثان وعندما سألهم عمّا يفعلون بقوله: ما هذه الأصنام الّتى أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: أفلاتعطونى منها صنماً، فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صَنما يقال له هُبَل، فقدم به مكَّة، فنصبه وأمرَ الناس بعبادته وتعظيمه. (۲) فمع هذه القصة والآيات الّتى تلوناها عليك كيف يقول الشيخ: بأنهم لم يعتقدوا بأن الهتهم هى الّتى تقضى حاجاتهم وتشفى مرضاهم وتنصرهم على عدوهم؟!

۱- آل عمران: ۲۶.

۲- السيرة النبوية: ۱/ ۷۶- ۷۷.

ص: ۱۵۱

وأما الاستدلال بقوله سبحانه: «مَا لَايَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ» فهو تنديد من اللّه سبحانه بهم، ونقد لعقائدهم حيث كانوا يعتقدون بان اصنامهم تضرهم وتنفعهم لا أنّه من كلامهم ولا يعبر عن عقائدهم.

إلى هنا تم الكلام حول الآية الأُولى الّتى أوردها الشيخ وانها لا تصلح لاثبات مدعاه، لو لم تكن دليلًا على خلافه.

وإليك الكلام فى الآية الثانية:

يقول الشيخ فى ذيل هذه الآية: إن الكفار لم يقصدوا من الهتهم أنهم يشفون مرضاهم أو يقضون حوائجهم وإنّما أرادوا منهم أنهم يقربونهم إلى اللّه زلفى.

يلاحظ عليه:

أوّلًا: ان قوله سبحانه: «إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» دليل على أن قولهم: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» لم يكن أمراً متفقاً عليه وإنّما هو كلام بعضهم لا كلهم.

فكيف يمكن ان يكون ذلك منطق عامة الوثنيين، مع أن قسماً كبيراً منهم إذا دُعُو إلى عبادة اللّه اخذهم الكبر كما

ص: ۱۵۲

يقول سبحانه: «إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ» (۱)

فلو كان الداعى إلى عبادة الالهة المزعومة، مجرد انهم يقربونهم إلى اللّه زلفى وكان التقرب إليه سبحانه هو الغاية القصوى لما وجدوا فى انفسهم حرجاً وتكبراً إذا دُعوا إلى عبادته.

كل ذلك يدل على ان المشركين لم يكونوا متفقين على أن عبادتهم للاصنام لأجل تحصيل التقرب إلى اللّه تعالى.

ثانياً: ان ذيل الآية وهو قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِى مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ» يشهد بأن ما لهجوا به كان غطاءً لعقيدتهم الحقيقية وانهم كانوا يكذبون فى قولهم: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى»، بل كانوا يعتقدون بأن لآلهتهم قدرة غيبية على قضاء حوائجهم وأنهم أرباب بيدهم مصيرهم وفلاحهم فى الدنيا والآخرة.

وبعبارة أُخرى: لما واجه المشركون إحتجاج الموحدين على سفاهة عقولهم واحلامهم فى الاعتقاد بأن آلهتهم تضر وتنفع، حاولوا تصحيح عملهم بأنهم لا يعبد عن اعتقاد بأن بيدها الخير والشر وإنّما يعبدونها لأجل أمر واحد، وهو ان عبادة الالهة تقربهم إلى اللّه زلفى فقط،

۱- الصافات: ۳۵.

ص: ۱۵۳

وعندئذ فضحهم سبحانه وكذبهم فقال: «إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِی مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ».

هل الدعاء والعبادة مترادفان؟

اشارة

لم نزل نسمع من الشيخ ابن باز وأساتذته ومبتكرى منهجه أنهم يستدلون بالآيات الّتى نزلت فى حق المشركين على اعمال المسلمين مع البون الشاسع بين عقيدتى الطائفتين وعملهما، ومن هذا القبيل أنهم يستدلون بالآيات الّتى ورد فيها النهى عن دعاء غير اللَّه على شرك من دعا رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم وقال: «يا رسول اللَّه اشفع لى عند اللَّه»، بتصور أن خطابه هذا يكون دعاءً لغير اللَّه ولأجل قلع هذه الشبهة وتفنيدها نذكر كلام الشيخ أوّلًا ثم نذكر موقف الكتاب والسنة فى هذا الموضوع:

يقول الشيخ: فالواجب على مثلكم تدبر هذا المقام وإعطاؤه ما يستحق من العناية. ويدل على كفرهم أيضاً بهذا الاعتقاد، قوله سبحانه: «وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ» (۱)

فسماهم

۱- المؤمنون: ۱۱۷.

ص: ۱۵۴

فی هذه الآیة کفاراً وحکم علیهم بذلک لمجرد الدعاء لغیر اللّه من الأنبیاء والملائکة والجن وغیرهم.

ویدل علی ذلک أیضاً قوله سبحانه فی سورة فاطر: «ذَلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ لَهُ الْمُلْکُ وَالَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا یَمْلِکُونَ مِنْ قِطْمِیرٍ* إِنْ تَدْعُوهُمْ لَایَسْمَعُوا دُعَاءَکُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَکُمْ وَیَوْمَ الْقِیَامَةِ یَکْفُرُونَ بِشِرْکِکُمْ وَلَا یُنَبِّئُکَ مِثْلُ خَبِیرٍ» (۱).

فحکم سبحانه بهذه الآیة علی أنّ دعاء المشرکین لغیر اللّه، من الأنبیاء والأولیاء، أو الملائکة أو الجن، أو الأصنام أو غیر ذلک بأنّه شرک، والآیات فی هذا المعنی لمن تدبر کتاب اللّه کثیرة.

یلاحظ علیه بالنقض أوّلًا بأنّه لو کان مطلق الدعاء سواء أکان المدعوّ حیّاً أم میتاً شرکاً وعبادة له لزم أن

۱- فاطر: ۱۳- ۱۴.

ص: ۱۵۵

لا يوجد على وجه البسيطة أى موحد يعبد اللَّه وحده فإن الناس جميعاً يتعاونون ويدعو بعضهم بعضاً حتّى أنّه سبحانه لم يحرم دعاء الرسول فى حال حياته وإنّما حرّم أن يكون دعاؤه مع دعاء الغير على صعيد واحد حيث كانوا يقومون وراء الحجرات ويقولون يا محمد أخرج فوافاهم النهى وقال: «لَاتَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا» (۱).

يقول ابن كثير فى تفسير الآية: كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم اللَّه عزوجل عن ذلك إعظاماً لنبيه صلى الله عليه و آله و سلم قال: فقولوا يا نبى اللَّه يا رسول اللَّه. وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير. وقال قتادة: أمر اللَّه أن يهاب نبيه صلى الله عليه و آله و سلم وأن يبجل وأن يعظم وأن يسود.

وقال مقاتل فى قوله: «لَاتَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا» يقول: لا تسموه إذا دعوتموه يا محمد ولا تقولوا يا ابن عبداللَّه ولكن شرفوه يا نبى اللَّه يا رسول‌اللَّه.

وقال مالك عن زيد بن أسلم فى قوله: «لَاتَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا» قال أمرهم اللَّه أن يشرفوه، هذا قول وهو الظاهر من السياق. (۲)

۱- النور: ۶۳.

۲- تفسير ابن كثير: ۳/ ۳۰۶.

ص: ۱۵۶

ويقول سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» (۱)

.

ولو قال القائل: إن دعاء الحى فى انجاز الأُمور الدنيوية والأخروية ليس بشرك وإنّما الشرك هو دعاء الميت لأمر من الأُمور.

يلاحظ عليه: بأن لازم ذلك أن يكون عامة المسلمين مشركين حيث يسلمون عليه فى صلواتهم ويدعونه وأى دعاء أوضح من قولهم: السلام عليك(أيها النبى).

كل ذلك يبعثنا إلى دراسة معنى الدعاء فى الآيات الّتى يستدل بها على ان دعاء غيره سبحانه شرك، فنقول:

إن المراد من الدعاء فيها ليس مطلق الدعوة وإنّما المراد منه العبادة، ويشهد على ذلك أن المراد من الدعوة فيها هو العبادة هو قوله تعالى: «ادْعُونى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (۲)

فالمراد من الدعوة فى صدر الآية هى العبادة ولذلك ختمت الآية

۱- الحجرات: ۴.

۲- غافر: ۶۰.

ص: ۱۵۷

بلفظ العبادة.

وعلى ضوء ذلك فمعنى قوله سبحانه: «فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا» (۱)

أى لا تعبدوا مع اللَّه أحداً، وليس للنهى عن المعيّة سبب سوى كون دعاء الغير فى الآية عبادة. وبذلك تعرف مفاد سائر الآيات، فإن نهى المشركين عن دعوة غير اللَّه سبحانه إنّما هى لأجل أن دعوتهم كانت عبادة للاصنام حيث كانوا يعتبرون الاصنام آلهة تملك مصير العباد كلا أو جزءً، عاجلًا وآجلًا، ولذلك يندد القرآن بدعائهم لأجل أنهم عاجزون عن قضاء حوائجهم، ويقول:

«وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَ لَا أَنْفُسَهُمْ» (۲)

، ويقول أيضاً: «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ» (۳).

فخلاصة القول: إنالمشركين كانوايعتبرون أصنامهم آلهة صغاراً، وأنّ أفعال اللَّه تعالى مفوضّة إليها بشكل مطلق أو بشكل جزئى. لكن طلب الشفاعة والدعاء من إنسان منحه اللَّه الكرامة والمنزلة فاقد لهذه الخصائص والشروط.

فأين اعتقاد المشركين فى حقّ أصنامهم من اعتقاد المسلمين فى حقّ أوليائهم.

۱- الجن: ۱۸.

۲- الأعراف: ۱۹۷.

۳- الأعراف: ۱۹۴.

ص: ۱۵۸

وعلى ضوء ذلك فلو أردنا أن نحدد مفهوم العبادة والدعاء تحديداً منطقياً فيجب أن نقول: يوجد بين المفهومين عموم وخصوص من وجه:

۱. إذا كان دعاء الغير مقروناً بالاعتقاد بأن له قدرة غيبية يستطيع بها قضاء حاجته فهو دعاء وفى الوقت نفسه عبادة، ففى هذا المقام يجتمعان.

واما موضع الافتراق: فلو دعا صالحاً طلب منه الدعاء سواء أكان حياً أم ميتاً دون أن يعتقد فيه القدرة الغيبية، أو كونه مالكاً لمصيره وانجاز عمله فهو دعاء وليس بعبادة.

۳. إذا كان معتقداً بأن المخضوع له رب ومالك يملك قضاء حاجته فخضع له بالجوارح فهو عبادة وليس دعاء.

ثم إن الشيخ بعد ذلك يستدل بآيتين كريمتين على أن دعاء غير اللّه شرك وكفر، وإليك الآيتين:

الآيةُ الأُولى:

«وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ» (۱).

۱- المؤمنون: ۱۱۷.

ص: ۱۵۹

وقال فی کیفیة الاستدلال بهذه الآیة علی أن عمل المسلمین شرک: «فسماهم فی هذه الآیة کفاراً وحکم علیهم بذلک لمجرد الدعاء لغیر اللّه فی الأنبیاء والملائکة والجن وغیرهم».

یلاحظ علیه: بوجود الفرق بین المدعوّین فإن المدعوّ فی الآیة هو الإله الّذی له- فی عقیدة الداعی- قدرة التصرف فی الکون أو فی مصیر الداعی کلًا أو جزءاً، والمدعو عند الطائفة الثانیة هو العبد الصالح الّذی یستجاب دعاؤه باذن اللّه سبحانه، فعطف الطائفة الثانیة علی الأُولی من قبیل عطف المباین علی المباین وبالتالی جعل المشرک والمسلم فی صف واحد!! والشاهد علی ذلک أنّه یصف مدعوّ المشرکین بقوله: «إلهاً آخر لا برهان له» وهذا التعریف لا ینطبق إلّاعلی مدعوّ المشرکین، ولا صلة له بمدعوّ الموحدّین ویشهد علی ذلک قوله سبحانه فی آیة أُخری: «أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صَادِقِینَ» (۱).

۱- النمل: ۶۴.

ص: ۱۶۰

وعلى ضوء ما ذكرنا فوصفهم بالكفر وعدّهم كفاراً ليس «لمجرد دعاء الغير» كما هو صريح عبارة الشيخ، بل لأجل ان دعاءهم نابع من الاعتقاد بان المدعوّ إله وان له قدرة غيبية يتصرف فى الكون وبيده مصير الداعى كلًا أو جزءاً ولو فى مجالى الشفاعة وغفران الذنوب، فكيف يستدل بآية لا مساس لها بعمل جمهرة المسلمين؟!

يقول ابن كثير: فى تفسير هذه الآية: يقول تعالى متوعداً من أشرك به غيره وعبد معه سواه ومخبراً أن من أشرك باللّه لا برهان له أى لا دليل له (۱).

الآية الثانية:

«ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ* إِنْ تَدْعُوهُمْ لَايَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» (۲).

قال الشيخ فى كيفية الاستدلال: «حكم سبحانه فى هذين الآيتين على أن دعاء المشركين لغير اللّه من الأنبياء والأولياء أو الملائكة أو الجن أو الاصنام أو غير ذلك بأنّه شرك».

۱- تفسير ابن كثير: ۳/ ۲۵۹.

۲- فاطر: ۱۳- ۱۴.

ص: ۱۶۱

يلاحظ عليه: بأن وزان هـذه الآيـة وزان الآية السابقة وكلتاهما تصبّان فى مورد واحد وليس الموضوع «دعاء المشـركين لغير اللّه» كما زعمه الشيخ وإنّما الموضوع دعاء المشـركين أربابَهم وآلهتهم الذين يعتقدون فيهم قدرة التأثير ويملكون شيئاً من مصير العابد، وليس الموضوع مطلق دعوة الغير حتّى فيما إذا كان العابـد معتقـداً بأن المدعو عبد صالح لا يملك شـيئاً غير أن له مقاماً عند اللّه يسـتجاب- لأجله- دعاؤه باذن اللّه تعالى.

ولـذلك تركّز الآيـة على عجز الهتهم وتنـدد باعتقـادهم بـأن هؤلاء الآلهـة وارباـبهم- على خلاف ما يزعمون- لا يملكون من قطمير، والقطمير عبـارة عن اللفاقـة الّتى تكـون على نواة التمر. (۱) فكيف يسـتطيعون انجـاز دعوتكم وقضـاء حاجتكم فاين دعوة المسـلمين المتوغلّين فى التوحيـد واسـتغاثتهم بـالنبى فى حيـاته ومماـته، من عمـل المشـركين المتوغلين فى عبـادة آلهتهم: «وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» (۲)

.

۱- القطمير: هو القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة؛ المنجد: ۶۴۲.

۲- الزمر: ۴۵.

ص: ۱۶۲

وإن كان الشيخ ومن على منهجه فى شك ممّا أقول فليتدبروا فى كلام ابن كثير ذلك التفسير الّذى يعد مرجعا لابناء جلدته، يقول: «والذين تدعون من دونه» أى من الاصنام والانداد الّتى هى على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين «ما يملكون من قطمير» أى لا يملكون من السماوات والأرض شيئاً «إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم» يعنى الالهة الّتى تدعونها من دون اللّه لا تسمع دعاءكم لانها جماد لا- أرواح فيها ...» إلى آخر ما ذكره. (۱) وقد ذكرنا أن لصدق العبادة مقومين؛ أحدهما يرجع إلى الاعتقاد القلبى والآخر إلى ابراز تلك العقيدة بقول أو فعل. والمسلم والمشرك وإن كانا يشتركان فى المقوم الثانى حتّى أنّ أعمال الحج من الطواف والسعى والرمى والذبح كلها أعمال تعرب عن خضوع الحاج، ولكن يفترقان فى العنصر الأوّل، وقد اوضحنا ذلك فيما سبق.

كلام لابن تيمية

۱- تفسير ابن كثير: ۳/ ۵۵۱.

ص: ۱۶۳

ان الشيخ ابن باز ومن على منهجه ومسلكه حتّى مشايخه يستدلون بكلام ابن تيمية ولذلك ملأ الشيخ رسالته بكلام ابن تيمية فنقل كلاماً مفصلًا منه، ولم يقتصر على ذلك ثم نقل مثله أيضاً من كتابه الآخر. ولأجل ذلك نشير إلى نماذج من كلامه مع تحليلها:

۱. قال: ويقولون(المتوسلون بالنبى) إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة. ويخالفون بذلك الاجماع من الصحابة والتابعين لهم باحسان، وسائر المسلمين، فإن أحداً منهم لم يطلب من النبى صلى الله عليه و آله و سلم بعد موته أن يشفع له، ولا سأله شيئاً، ولا ذكر ذلك أحدٌ من أئمة المسلمين فى كتبهم وإنّما ذكر ذلك من ذكره من متأخرى الفقهاء.

يلاحظ عليه: أنّه كيف يدعى أن أحداً من المسلمين لم يطلب من النبى صلى الله عليه و آله و سلم بعد موته ان يشفع له ولا سأله شيئاً، مع أن فى غضون التاريخ والحديث شواهد كثيرة والمجموع يثبت أنّ السؤال والتوسل بعد رحيله كان أمراً مسلماً، وإليك نماذج من ذلك:

۱. روى مفتى مكة المشرّفة زينى دحلان فى سيرته قال: ان أبا بكر دخل حجرة النبى- بعدما توفى صلى الله عليه و آله و سلم وقال: طبت حيّاً وميتاً، وانقطع بموتك ما لم ينقطع للأنبياء قبلك،

ص: ۱۶۴

فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء، ولو أن موتك كان اختياراً لجُدنا لموتك بالنفوس، اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن على بالك. (۱) ۲. قال أمير المؤمنين على عليه السلام عندما ولى غسل رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: «بأبى انت وأمى يا رسول اللّه لقد انقطع بموتك مالم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء- إلى أن قال-: بأبى انت وأمى اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك» (۲).

۳. روى الطبرانىّ عن أبى أُمامة بن سهل بن حنيف عن عمّه عثمان بن حنيف، أنَّ رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى حاجةٍ له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته، فلقى ابن حنيف فشكى ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف: إئت الميضأة فتوضأ ثمّ إئت المسجد فصلّ فيه ركعتين ثمّ قل: «اللّهمّ إنّى أسألك وأتوجّه إليك بنبيّنا محمّد صلى الله عليه و آله و سلم نبىّ الرحمة يا محمّد إنّى أتوجّه بك إلى ربّى

۱- سيرة زينى دحلان، بهامش السيرة الحلبية: ۳/ ۳۹۱، طبع مصر.

۲- نهج البلاغة: الخطبة ۲۳۵، شرح ابن أبى الحديد المعتزلى: ۱۳/ ۲۴(رواه عن محمد بن حبيب المتوفى ۲۴۵ ه)؛ المفيد عن ابن عباس فى اماليه: ۱۰۳، المجلس الثانى عشر.

ص: ۱۶۵

فتقضی لی حاجتی» فتذکر حاجتک ورُحْ حتّی أروحَ معک.

فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثمّ أتی باب عثمان بن عفان رضی الله عنه فجاء البوّاب حتّی أخذ بیده فأدخله علی عثمان بن عفان رضی الله عنه فأجلسه معه علی الطنفسة فقال: حاجتک؟ فذکر حاجته وقضاها له ثمّ قال له: ما ذکرت حاجتک حتّی کان الساعة. وقال: ما کانت لک من حاجة فاذکرها.

ثمّ إنّ الرجل خرج من عنده فلقی عثمان بن حنیف فقال له: جزاک اللّه خیراً ما کان ینظر فی حاجتی ولا یلتفت إلیَّ حتّی کلّمتَه فیّ، فقال عثمان بن حنیف: واللّه ما کلّمته، ولکنّی شهدتُ رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم وأتاه ضریرٌ فشکی إلیه ذهاب بصره فقال له النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم: فتصبر؟ فقال: یا رسول اللّه لیس لی قائدٌ فقد شقّ علیّ.

فقال النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم: أئت المیضأة فتوضأ ثمّ صلِّ رکعتین، ثمّ ادع بهذه الدعوات.

قال ابن حنیف: فواللّه ما تفرّقنا وطال بنا الحدیث حتّی دخل علینا الرجل کأنّه لم یکن به ضرّ قط (۱).

۱- المعجم الکبیر للحافظ سلیمان بن أحمد بن أیوب اللخمی الطبرانی(۳۶۰) ۹: ۱۶- ۱۷، باب ما أُسند إلی عثمان بن حنیف برقم ۸۳۱۰ والمعجم الصغیر له أیضاً ۱: ۱۸۳- ۱۸۴. والروایة تصلح للتأیید ویعاضدها سائر الروایات.

ص: ۱۶۶

۴. ما أخرجه الحاكم بسند صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى فى تلخيص عن داود بن أبى صالح قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلًا واضعاً وجهه على القبر فأخذ برقبته فقال أتدرى ما تصنع؟ قال: نعم، فاقبل عليه فإذا هو أبو ايوب الانصارى، فقال: جئت رسول اللّه فلم آت الحجر. (۱) وقد تقدم نقله أيضاً فى مسألة التبرك.

۵. ما رواه الحافظ ابن حجر فى الفتح، قال: روى ابن أبى شيبة باسناد صحيح من رواية أبى صالح السمّان عن مالك الدارى وكان خازن عمر قال: أصاب الناس قحط فى زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم فقال: يا رسول اللّه استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا. (۲) والسند كما وصفه ابن حجر صحيح: قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن مالك الدارى وفيه(مالك الدار) مكان(مالك الدارى).

۱- المستدرك باب الفتن والملاحم: ۴/ ۱۲.

۲- فتح البارى: ۲/ ۴۹۵، ولاحظ المصنف لابن أبى شيبة: ۷/ ۴۸۲.

ص: ۱۶۷

ثم قال ابن حجر: وقد روى سيف فى الفتوح ان الرجل هو بلال بن الحارث المزنى أحد الصحابة. (۱) ذكر تقى الدين السبكى فى شفاء السقام والسمهودى فى وفاء الوفا قالا: روى سفيان بن عنبر عن العتبى- وكلاهما من مشايخ الشافعى وأساتذته- أنّه قال: كنتُ جالساً عند قبر رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم فجاء أعرابى فقال: السلام عليك يا رسول اللَّه، سمعتُ اللَّه يقول: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً» (۲)

وقد جئتك مستغفراً من ذنبى، مستشفعاً بك إلى ربى».

ثم بكى وأنشأ يقول:

يا خير من دُفنت فى القاع أعظمُهُ فطاب من طيبهن القاعُ والأكُمُ

نفسى الفداء لقبرٍ أنت ساكنُه فيه العَفافُ وفيه الجودُ والكَرمُ

ثم استغفر وانصرف (۳).

۱- المصدر نفسه.

۲- النساء: ۶۴.

۳- وفاء الوفاء: ۴/ ۱۳۶۱؛ الدرر السنّية لأحمد دحلان: ۲۱.

ص: ۱۶۸

ویروی أبو سعید السمعانی عن الإمام علی بن أبی‌طالب علیه السلام أن أعرابیاً جاء بعد ثلاثة أیام من دفن رسول‌اللّه صلی الله علیه و آله و سلم فرمی بنفسه علی القبر الشریف وحثا من ترابه علی رأسه وقال: «یا رسول اللّه قلت فسمعنا قولک، ووعیتَ عن اللّه ما وعینا عنک، وکان فیما أنزله علیک: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ...» وقد ظلمت نفسی وجئتک تستغفر لی إلی ربی» (۱) ۶. انشدت صفیة بنت عبد المطلب بعد وفاة النبی صلی الله علیه و آله و سلم فی رثائه وقالت:

ألا یا رسول اللّه انت رجاؤنا وکنت بنا برّاً ولم تکُ جافیا

وکنت بنا بَرّاً رؤوفاً نبیّنا لِیَبْکِ علیک الیوم من کان باکیا (۲)

سواء أکان الصحیح «انت رجاؤونا» أو الصحیح «کنت رجاؤنا» فإن الجملتین تشترکان فی دعاء المیت دعاء

۱- الجوهر المنظّم لابن حجر وذکره السمهودی فی وفاء الوفاء ۲/ ۶۱۲؛ وزینی دحلان فی الدرر السنیة: ۲۱.

۲- ذخائر العقبی لمحب الدین الطبری: ۴۲۱؛ مجمع الزوائد: ۹/ ۳۶.

ص: ۱۶۹

من يرجو أن يستمر رجاؤه أيضاً بعد وفاته، وهذا يكشف انّه لم يكن معروفاً بين الصحابة ان مثل هذا النوع من الدعاء إذ لو كان دعاؤه شركاً لما اقدمت عليه عالمة أهل البيت عمّة رسول اللّه(رضى اللّه عنها).

۷. سأل المنصور الدوانيقى العباسى، مالك بن أنس- إمام المالكية- وهما فى مسجد رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم فقال: يا أبا عبداللّه أستقبل القبلة وأدعو أم استقبل رسول اللّه؟

فقال مالك: لِمَ تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى اللّه يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعّك اللّه. (۱)

وهذه الروايات يعاضد بعضها بعضاً وتفيد الاطمئنان بجريان السيرة على طلب الدعاء عن الرسول بعد رحيله وان كان البعض غير نقىّ السند.

وفى الختام نقول:

لا يصح لباحث أن يرفض هذه الروايات بمجرد أنها لا توافق رأى ابن تيمية ومن نهج منهجه مع أن فيها الصحيح والمعتبر، ومضمونها متواتر إجمالًا يعبر عن تسالم الأُمّة على جواز التوسل بالنبى بعد رحيله.

۱- وفاء الوفاء: ۴/ ۱۳۷۶.

ص: ۱۷۰

ولكنا نتنازل ونفترض أن هذه الروايات أحاديث مختلقة مكذوبة على أصحابها ومع ذلك كله ففى هذه الروايات الّتى يصفها المخالف بالكذب شهادة واضحة على تسالم الأُمّة على صحة التوسل بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم، إذ لو كان هذا العمل شركاً وبدعة وخروجاً عن الدين لما وضعها الوضاعون ولا لهج بها لسان القصاصين لأن الغاية من نشر هذه الروايات إمالة قلوب الناس إلى ما يروون ويحدثون به، ومن المعلوم أن تلك الغاية لا تتحقق فيما لو كذبوا و اختلقوا أموراً لا يقبلها الناس حسب فطرتهم ومستوى فهمهم، فلو كان المضمون شركاً لردّه السامع عند الوهلة الأُولى لمواجهة الراوى بالتحديث والرواية.

ومن هذه النماذج يُعلم عدم صحة قول الشيخ: «من أن أحداً من الصحابة لم يطلب من النبى صلى الله عليه و آله و سلم بعد موته أن يشفع له ولا سأله شيئاً».

كيف يقول ذلك: وما ذكرنا من الصحابة والتابعين دليل واضح على أنهم طلبوا من النبى بعد موته الشفاعة وسألوه شيئاً.

وانت إذا أحطت بما ذكرنا من الأحاديث والآثار تقدر على تقييم ما ذكره ابن تيمية حيث قال:

ص: ۱۷۱

ان مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به اللّه تعالى قال تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ» (۱).

وقد عرفت ان التوسل بالنبى والأئمة من أهل بيته ليس عبادة لعدم توفر العنصر الثانى فى صدق العبادة فكيف يقول «أحدثوا من الشرك والعبادات». ثم إن هذه الاعمال لو افترضنا أن المسلمين يقومون بها بعنوان أنها جزء من الدين فقد أذن اللّه بها على ضوء ما تلوناه عليك من الروايات والاثار.

كلام آخر لابن تيمية

اشارة

ثم ان الشيخ ابن باز أورد كلاماً آخر لابن تيمية نقله عن رسالته إلى أتباع الشيخ على بن مسافر(ص ۳۲) وممّا جاء فيها قوله: والذين كانوا يدعون مع اللّه ألهة أُخرى مثل الشمس والقمر و ... لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق اوانها تُنزل المطر أو انها تنبت النبات وإنّما كانوا يعبدون الأنبياء والملائكة أو يعبدون قبورهم ويقولون إنّما نعبدهم ليقربونا إلى اللّه زلفى ويقولون هم شفعاؤنا عند اللّه،

۱- الشورى: ۲۱.

ص: ۱۷۲

فأرسل اللّه رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة. قال تعالى: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا* أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً» (۱).

يلاحظ عليه:

ان ما نقله ابن باز عن ابن تيمية أمر مستدرك لا حاجة له لأنّه ذكره فى كلامه السابق والفرع مطابق للأصل تماماً وقد عرفت سقوط الاستدلال وذلك.

أوّلًا: وجود الفرق بين المسلمين والمشركين فالطائفة الأُولى يوحدون اللّه تعالى ولا يرون له نِدّاً ذاتاً وصفاتً وافعالًا، بخلاف المشركين فيجعلون له «أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ» ويسوون بينهم وبين اللّه سبحانه كما مرّ، ولذلك كان دعاؤهم واستغاثتهم عبادة لالهتهم المزعومة بخلاف دعاء المسلمين وطلبهم الّذى هو توسل بأفضل خليقته وطلب الدعاء منه لأن له مقاماً عند اللّه لا يرد دعاؤه.

وثانياً: نسب إلى المشركين بأنهم ما كانوا يعتقدون

۱- الاسراء: ۵۶- ۵۷.

ص: ۱۷۳

بأن الهتهم «تخلق الخلائق أو انها تنزل المطر أو انها تنبت النبات».

يلاحظ عليه: بأن المشركين لم يكونوا على منهج واحد محدد لا ينقص ولا يزيد بل كانوا مختلفين فى درجات الشرك فقد عرفت أنهم كانوا يعتقدون ان العزة والنصر بيد الهتهم كما كانوا يعتقدون بأن الشفاعة والمغفرة حق طبيعى لهم، وقد مرّ أن عمرو بن لحى هو الّذى ادخل الوثنية إلى مكة وجاءهم ب «هبل» من بلاد الشام وأمر الناس بعبادته وتعظيمه، وما جاء به إلّابعد أن رأى أن أهل الشام يستمطرون به عند الجدب ويستنصرون به عند الشدّة، ومع ذلك كيف يصح لابن تيمية أن يجمع بين الموحدين والمشركين؟!

ثالثاً: قد تقدم ان المشركين فى عهد الرسالة وان كانوا يقولون إنّما نعبدهم ليقربونا إلى اللّه زلفى ولكنهم كانوا كاذبين فى هذا القول وقد ذكره سبحانه فى آخر الآية وقال:

«إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِى مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ»، بل هم يعبدونها لا لمجرد التقرب إلى اللّه سبحانه بل لاعتقادهم بالربوبية فيها وان كانت دائرة الربوبية تختلف حسب اختلاف دائرة الشرك.

ص: ۱۷۴

رابعاً: أن الآية المباركة: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا» (۱)

لا تمس المقام أصلًا إذ الآية صريحة بأنهم كانوا يدعون آلهتهم لكشف الضر عنهم واللّه سبحانه ردهم بأن هؤلاء أعجز من أن ينجزوا لكم طلباتكم، واما الموحد فهو يعتقد أن كشف الضر بيد اللّه وأن قضاء الحوائج بيده لا غير وإنما يلتجأ إلى النبى طالباً منه الدعاء ليكشف اللّه سبحانه بدعائه الضر عنهم كما كانوا يلتجأون إلى النبى فى حال حياته لكى يكشف اللّه ضرهم بدعائه.

وقد امتلأت الصحاح والمسانيد بالروايات الّتى تشير إلى طلب الناس الاستسقاء من النبى والخليفة وغير ذلك.

وان كنت فى شك فيما ذكرنا حول الآية فانظر إلى ما ذكره ابن كثير حول تفسير الآية، قال: «يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير اللّه من الأصنام والانداد فارغبوا إليهم فانهم لا يملكون كشف الضر عنكم أى بالكلية، ولا تحويلًا أى بأن يحولوه إلى غيركم، والمعنى أن الّذى يقدر على ذلك هو اللّه وحده لا شريك له له الخلق

۱- الاسراء: ۵۶.

ص: ۱۷۵

وله الأمر.» (۱) وبـذلك يظهر ما تهـدف إليه الآيـة الثانيـة الّتى استشـهد بها ابن تيميـة على حرمة مطلق الدعاء قال سـبحانه: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَايَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَلَا فِى الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ* وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» (۲).

فالآية تندد بعمل المشركين الذين يعتقدونفى أصنامهم قدرة غيبية يقضون بها حوائج عَبّادهم دون أن يستمدوا من اللَّه سبحانه بشىء وبـذلك رد عليهم بقوله: «لَايَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَلَا فِى الأَرْضِ» كما كانوا يعتقـدون أنهم يملكون مقام الشـفاعة وانها فوضت إليهم فرد اللَّه سبحانه عليهم بقوله: «وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» واين هـذا من دعاء الموحدين الذين يعتقدون بأن عباد اللَّه لا يملكون شيئاً فى قضاء حوائجهم وانجاز طلباتهم وانّه سبحانه هو قاضى الحاجات ومنجز الدعوات لا غير.

قال ابن كثير: «بين اللَّه تبارك وتعالى ان الاله الواحد الأحد الفرد الصمد هو المستقل بالأمر وحده من غير

۱- تفسير ابن كثير: ۳/ ۴۶.

۲- سبأ: ۲۲- ۲۳.

ص: ۱۷۶

مشارك ولا منازع ولا معارض فقال: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى من الآلهـة الّتى عبـدت من دونه «لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَـاوَاتِ وَلَـا فِي الأَرْضِ» كما قال تبارك وتعالى.» (۱) فمـا ذكره ابن كثير هو نفس ما يعتقـده الموحـدون ويتلونه كل يوم «قُلِ اللهُمَّ مَالِـكَ الْمُلْـكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُـذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَـىءْ قَدِيرٌ».

أُمور أربعة فى كلام ابن تيمية:

۱. ان النبى يحقق التوحيد ويسلمه أُمته حتّى انّه لمّا قال له رجل: ما شاء اللَّه وشئت قال: اجعلتنى للَّهندّاً! قل: ما شاء اللَّه وحده، وقال: لا تقولوا ما شاء اللَّه وشاء محمد ولكن: ما شاء اللَّه ثم ما شاء محمد.

۲. نهى عن الحلف بغير اللَّه قال: من كان حالفاً فليحلف باللَّه أو فليصمت، وقال: من حلف بغير اللَّه فقد اشرك.

۳. لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، إنّما انا عبداللَّه وقولوا عبداللَّه ورسوله.

۱- تفسير ابن كثير: ۴/ ۵۳۶.

ص: ۱۷۷

۴. ونهى النبى عن اتخاذ القبور مساجد وقال فى مرض موته: «لعن اللّه اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ولهذا اتفق أئمة المسلمين على أنّه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا تشرع الصلاة عند القبور، بل كثير من العلماء يقول الصلاة عندها باطلة وذلك أن من أكبر اسباب عبادة الاوثان كان تعظم القبور بالعبادة ونحوها.

هذه أُمور أربعة ختم بها ابن تيمية كلامه، وفى كلامه ملاحظات ستمر عليك فأقرأها بامعان ثم اقض بوجدان الحرّ.

الأمر الأوّل: الفصل بين مشيئة اللّه ومشيئة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ب «ثم»

ان مقتضى التوحيد فى التدبير أو مقتضاه فى الأفعال أن كل ما يحدث فى الكون يكون مسبوقاً بمشيئة اللّه سبحانه وإرادته: «سبحان من لا يوجد فى ملكه إلّاما شاءه وأراده»، قال سبحانه: «وَ مَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ» (۱).

فمشيئة الإنسان مسبوقة بمشيئة اللّه تعالى، فلذلك

۱- الإنسان: ۳۰.

ص: ۱۷۸

نهى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم عن قول القائل ما شاء اللّه وشاء محمد، وأمره بان يقول ما شاء اللّه ثم ما شاء محمد. وهذا صحيح بلا كلام. إلّاأن الشيخ ومن على منهجه اتخذ ذلك النهى ضابطة كلية فى عامة الموارد الّتى يعطف فيها الرسول على اللّه سبحانه فيقولون بوجوب الفصل بينهما ب «ثم» مع أنّه قياس مع الفارق أوّلًا. وعلى خلاف صريح الذكر الحكيم ثانياً:

قال سبحانه: «وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» (۱).

قال سبحانه: «وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» (۲).

قال سبحانه: «وَ مَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَ رَسُولُهُ» (۳).

قال سبحانه: «وَ قَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ رَسُولُهُ» (۴).

إلى غير ذلك من الآيات الّتى عطف فيها الرسول على اللّه بلا فصل.

۱- النساء: ۱۳.

۲- النساء: ۱۴.

۳- التوبة: ۷۴.

۴- التوبة: ۵۹.

ص: ۱۷۹

الأمر الثانی: الحلف بغیر اللّه تعالی

اشارة

ان اللّه سبحانه أقسم فی القرآن الکریم بأشیاء غیر ذاته یربو عددها علی الأربعین نذکر منها: التین، الزیتون، طور سینین، البلد الأمین، اللیل، النهار، الفجر، اللیالی العشر، الشفع، الوتر، الطور، الکتاب المسطور، البیت المعمور، السقف المرفوع، البحر المسجور، وأخیراً فقد حلف سبحانه بعمر النبی حیث قال: «لَعَمْرُکَ إِنَّهُمْ لَفِی سَکْرَتِهِمْ یَعْمَهُونَ» (۱)

ثم ان الغایة من الحلف بهذه الموجودات أحد أمرین:

۱. حث الإنسان وتحفیزه للاهتمام بتلک الموجودات والتفکیر فیها ودراستها وما فیها من الأسرار والقوانین ولذلک یقول سبحانه: «قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِی السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ» (۲)

.

۲. إظهار منزلة المقسم به الّتی یتمتع بها عند اللّه سبحانه کما هو الحال فی حیاة النبی صلی الله علیه و آله و سلم.

ثم ان وجود هذا الکم الهائل من الاقسام فی القرآن یدل علی جواز الحلف بها، خصوصاً إذا کانت الغایة

۱- الحجر: ۷۲.

۲- یونس: ۱۰۱.

ص: ۱۸۰

هی‌ابراز المنزلة والفضیلة للمقسم به، فلو کان الحلف أمراً قبیحاً ومستهجناً أو کان شرکاً لما حلف سبحانه بها، ولا أقل یذکر شیئاً فی القرآن من أن الحلف بها من خصائصه سبحانه.

والعجب العجاب هو ان المخالف بعد أن واجه هذا المنطق القویم حاول الهروب من المأزق وقال ان المقسم به فی هذه الاقسام هو الرب فیعود معنی قوله سبحانه:

«وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا» (۱)

هو: رب الشمس، ورب ضحاها، کما یرجع معنی الحلف بحیاة النبی إلی الحلف برب حیاة النبی، فیکون معنی قوله: «لَعَمْرُکَ إِنَّهُمْ» أی «لرب عَمرک انهم ...»، ولیس هذا إلّاتأویلًا بلا دلیل وتفسیراً بالرأی واخراجاً للقرآن عن ذروة البلاغة.

الحلف بغیر اللّه فی الصحاح

لقد ورد الحلف بغیر اللّه سبحانه فی کلام النبی صلی الله علیه و آله و سلم وغیره أکثر من مرةٍ، ونحن نذکر هنا قلیلًا من هذه الموارد، ونترک الباقی للآخرین:

روی مسلم فی صحیحه: جاء رجل إلی النبی صلی الله علیه و آله و سلم

۱- الشمس: ۱.

ص: ۱۸۱

فقال: يا رسول اللّه، أىّ الصدقة أعظم أجراً؟

فقال: «أما وأبيك لتنبأنّه، أن تُصدّق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل البقاء». (۱) وهناك حديث آخر رواه مسلم أيضاً فى باب ما هو الإسلام؟ (۲) وإليك نصّه:

«جاءَ رَجُلٌ إِلى رَسُولِ اللّه- مِنْ نَجْدٍ- يَسْأَلُ عَنِ الإسلام، فَقالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: خَمْسُ صَلَوات فِى الْيَوم وَاللَّيلِ.

فقال: هَلْ عَلَىَّ غَيْرَهُنَّ؟

قال: لا ... إلّاأن تطوَّعَ، وصيامُ شَهْرِ رَمَضان.

فَقالَ: هَلْ عَلَىَّ غَيْرُهُ؟

قالَ: لا ... إلّاأنْ تَطَوّعَ، وذكَرَ له رَسُول اللّه الزَّكاة.

فقال الرَجُلُ: هَلْ علىَّ غيره؟

قال: لا ... إلّاأنْ تَطوَّع.

فَأدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللّه لا أزيدُ عَلى هذا ولا أنْقُصُ مِنْهُ.

۱- صحيح مسلم: ۳/ ۹۴، باب أفضل الصدقة من كتاب الزكاة.

۲- صحيح مسلم: ۱/ ۳۲.

ص: ۱۸۲

فَقالَ رَسُولُ اللّه: أفْلَحَ- وأبيه- (۱) إن صدَقَ. (۲)- أو قال-: دَخَلَ الجَنَّةَ وأبيه- إنْ صَدَقَ. (۳) وروى أحمد هذا الحديث فى مسنده وفى آخره أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال لهذا الرجل «فلعمرى لأن تكلم بمعروف وتنهى عن معروف خير من أن تسكت». (۴) امّا فقهاء المذاهب الأربعة فلم يجمعوا على حرمة الحلف بغير اللّه، فقد قال فقهاء الحنفية والشافعية بأنّه مكروه، واما المالكية فإن لهم فيه قولين أحدهما الحرمة والآخر الكراهة. (۵) بقى الكلام فيما استدل به على الحرمة بحديثين:

۱. قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «من كان حالفاً فليحلف باللّه أو يسكت».

۲. قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «من حلف بغير اللّه فقد أشرك».

اما الحديث الأوّل: فقد حذف صدره، فقد روى أصحاب السنن أن رسول اللّه سمع عمر وهو يقول «وأبى»

۱- أى: قَسَماً بأبيه: فالواو واو القَسم.

۲- صحيح مسلم: ۱/ ۳۲، باب ما هو الإسلام.

۳- صحيح مسلم: ۱/ ۳۲، باب ما هو الإسلام.

۴- مسند أحمد: ۵/ ۲۲۵.

۵- للتفصيل راجع كتاب الفقه على المذاهب الأربعة: ۱/ ۷۵؛ طبع مصر.

ص: ۱۸۳

فقال: إن اللّه ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفاً فليحلف باللّه أو يسكت». (۱) والجواب: ان النهى عن الحلف بالآباء لأجل أنهم كانوا فى ذلك الزمان مشركين وعبدة للاوثان، فلم تكن لهم حرمة ولا كرامة حتّى يحلف أحدٌ بهم.

وقد جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قوله: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت» (۲)، وجاء أيضاً قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالأنداد» (۳).

فاقتران «الطوغيت» و «الانداد» بالآباء لدليل واضح على أنّ الآباء كانوا يعبدونها.

ومع وجود هذه القرائن الواضحة، كيف يمكن أن يقال بأن النبى صلى الله عليه و آله و سلم نهى عن الحلف بالمقدسات كالكعبة والقرآن وأولياء اللّه تعالى- مع العلم أنّ النهى خاصٌ بمورد معيّن، وأن النبى بنفسه كان يحلف بغير اللّه؟

وأما الحديث الثانى: أعنى قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «من حلف بغير اللّه فقد أشرك».

۱- سنن ابن ماجة: ۱/ ۲۷۷.

۲- سنن النسائى: ۷/ ۸.

۳- مسند أحمد: ۲/ ۳۴.

ص: ۱۸۴

فيظهر المراد منه بنقل الرواية كاملة وهى: جاء ابنَ عُمر رجلٌ فقال: أحِلف بالكعبة؟ قال له: لا، ولكن أحلف بربّ الكَعبة، فإنّ عمر كان يحلف بأبيه فقال له رسولُ اللّه: «لا تَحِلف بأبيك فإنّ من حَلف بغير اللّه فقد أشرك». (۱) والحديث- كما ترى- مؤلف من مقاطع، هى:

أ. جاء رجل ابن عمر، فسأله هل يحق له الحلف بالكعبة؟ فنهاه ابن عمر.

ب. انّ عمر كان يحلف بأبيه عند رسول اللّه فنهاه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم عن ذلك.

ج. القاعدة الكلية الّتى ذكرها النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم وهى:

«من حلف بغير اللّه فقد أشرك». (۲) والقدر المتيقّن من كلام الرسول ما إذا كان المحلوف به شيئاً غير مقدّس كالكافر والصنم، بشهادة انّ النبى ذكر ذلك عندما حلف عمر بأبيه الّذى كان كافراً، ولا يمكن انتزاع ضابطة كلية تعمّ الحلف بالكافر والمؤمن. ولكن ابن عمر اجتهد بأنّ قول النبىّ «مَن حلف بغير اللّه فقد أشرك» الّذى

۱- سنن النسائى: ۷/ ۸.

۲- السنن الكبرى: ۱۰/ ۲۹؛ مسند أحمد: ۱/ ۴۷، ۲/ ۳۴، ۶۷، ۷۸، ۱۲۵.

ص: ۱۸۵

ورد فى الحلف بالمشرك- و هو الخطّاب الذى هو والد عمر- اجتهد بأنّه يشمل الحلف بالمقدّسات أيضاً كالكعبة، مع العلم بأنّ كلام النبى صلى الله عليه و آله و سلم قد ورد فى الحلف بالمشرك.

واجتهاده حجة على نفسه لا على غيره مع العلم بخطئه فى تطبيق الكبرى على غير موردها.

الأمر الثالث: قول النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «لا تُطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنّما انا عبداللّه، فقولوا عبداللّه ورسوله»

ما نقله الشيخ حق لا مرية فيه، ولكن لا يوجد على أديم الأرض وتحت قبة السماء موحد بعد وصية النبى صلى الله عليه و آله و سلم يطرى النبى صلى الله عليه و آله و سلم كإطراء النصارى والكل يشهدون له بالرسالة والعبودية ويقولون «اشهد أن محمداً عبده، ورسوله» فما معنى إقحام ذلك الأمر فى ثنايا كلامه، فهل يريد بذلك اتهام الموحدين المسلمين بالشرك وانهم يعتقدون بالوهية النبى الأكرم أو ربوبيته؟!

الأمر الرابع: نهى النبى صلى الله عليه و آله و سلم عن اتخاذ القبور مساجد

روى البخارى فى كتاب الجنائز عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أنّه قال: «لعن اللّه اليهود والنصارى اتخذوا قبور

ص: ۱۸۶

أنبيائهم مساجد» (۱).

فى البدأ لابد من دراسة الحديث من جانبين:

الأوّل: فى صحة مضمونه.

الثانى: ما هو المقصود من الحديث على فرض الصحة.

أما الأوّل: فالحديث وإن رواه البخارى لكن ليس كل ما فى البخارى صحيحاً قطعياً لا يمكن تطرق الخطأ إليه مع أنّه ومن روى عنه فرد غير معصوم، ولذلك نحن نشك فى صحة الحديث من جانب التاريخ وبشهادة القرآن على سيرة اليهود، وذلك لأن سيرة اليهود كما هو معروف هى القسوة مع الأنبياء وانهم كانوا يقتلون أنبياءهم واحداً بعد الآخر فكيف يحترمون أنبياءهم ويتخذون قبورهم مساجد وهذا هو القرآن الكريم يصفهم بقوله: «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ* ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ* الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ

۱- صحيح البخارى: ۲/ ۱۱۱.

ص: ۱۸۷

كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (۱)

. كل ذلك يورث الشكّ فى صحة مضمونه.

وأما الجانب الثانى: فلو افترضنا صحة المضمون لكن التعرف على مغزى هذا الحديث يتوقف على معرفة ما كان يقوم به اليهود والنصارى عند قبور أنبيائهم، ذلك لأن النبى عليه السلام إنّما نهى عن القيام بما كان يقوم به اليهود والنصارى، فإذا عرفنا عملهم، عرفنا بالتبع الحرامَ المنهىّ عنه.

الثانى: الحديث احتمالات ثلاثة يُحتمل ان يكون هى المراد لا مجرد الصلاة عند قبور الأنبياء للّهسبحانه:

۱. اتخاذ قبور الأنبياء قبلة لهم يصدّهم عن التوجه إلى القبلة الواجبة.

۲. يجعلون انبياءهم شركاء مع اللّه سبحانه فى العبادة.

۳. يعبدون أنبياءهم بجوار قبورهم يدل أن يعبدوا اللّه الواحد القهار.

ويدل على أن المراد أحد هذه الاحتمالات الثلاثة ما رواه مسلم عن زوجتى النبى صلى الله عليه و آله و سلم: أم حبيبة وأم سلمة بأنهما رأتا تصاوير فى احدى كنائس الحبشة قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم:

۱- آل عمران: ۱۸۱- ۱۸۳.

ص: ۱۸۸

«إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً وصوّروا فيه تلك التصاوير ...». (۱) فالهدف من وضع صور الصالحين بجوار قبورهم إنّما كان لأجل إتّخاذ القبر والصورة قبلة لهم، أو كانتا كالصنم المنصوب يُعبدان ويُسجد لهما.

إن هذا الاحتمال- اللائح من الحديث- ينطبق مع ما عليه المسيحيون من عبادة المسيح ووضع التماثيل والتماثيل المجّسمة له وللسيدة مريم عليهما السلام.

ومع هذا المعنى فلا يمكن الاستدلال بهذه الأحاديث على حرمة بناء المسجد على قبور الصالحين أو بجوارها واقامة الصلاة فيها من دون أن يكون فى ذلك أىّ شىء يوحى بالعبودية، كما عليه المسيحيون.

قال القسطلانى: إنّما صوّر أوائلهم الصُّور ليستأنسوا بها ويتذكّروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم ويعبدوا اللَّه عند قبورهم، ثمّ خَلَفهم قوم جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أنّ أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويُعظّمونها، فحذَّر النبى عن مثل ذلك.

إلى أن يقول عن البيضاوى:

۱- صحيح مسلم: ۲/ ۶۶، كتاب المساجد.

ص: ۱۸۹

قال البيضاوى: لمّا كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم و يجعلونها قبلة يتوجّهون فى الصلاة نحوها واتّخذوها أوثاناً، مُنع المسلمون عن مثل ذلك، فأمّا من اتّخذ مسجداً فى جوار صالح وقصد التبرُّك بالقرب منه- لا للتعظيم ولا للتوجّه إليه- فلا يدخل فى الوعيد المذكور. (۱) وليس القسطلانى منفرداً فى هذا الشرح، بل ذهب إلى ذلك السندى- شارح السُّنن للنسائى- حيث يقول:

«اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» أى: قبلة للصلاة يُصلّون إليها، أو بنوا مساجد عليها يُصلّون فيها. ولعلّ وجه الكراهة أنّه قد يُفضى إلى عبادة نفس القبر. (۲) ويقول أيضاً:

يُحذّر(النبى) أُمّته أن يصنعوا بقبره ما صنع اليهود والنصارى بقبور أنبيائهم من اتّخاذهم تلك القبور مساجد، إمّا بالسجود إليها تعظيماً لها، أو بجعلها قبلة يتوجّهون فى

۱- إرشاد السارى فى شرح صحيح البخارى: ۱/ ۴۳۰. وقد مال إلى هذا المعنى ابن حجر- فى فتح البارى: ۳/ ۲۰۸ حيث قال: إنّ النهى إنّما هو عمّا يؤدّى بالقبر إلى ما عليه أهل الكتاب، أمّا غير ذلك فلا إشكال فيه.

۲- السنن للنسائى: ۲/ ۲۱، مطبعة الأزهر.

ص: ۱۹۰

الصلاة إليها. (۱) واما إذا خلت الصلاة عند قبورهم عن هذه الصفة، تصبح الصلاة عند قبورهم بلا اشكال.

والمسلمون يصلون فى المسجد النبوى عبر قرون، وفيه قبر النبى الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم، دون ان يتخذه أحد منهم قبلة، أو يسجد له، أو يعبده، فما هذه الهمهمة والدمدمة حول مثوى خير البشر!!

الاستشهاد بكلام ابن القيّم

ان الشيخ ابن باز استشهد أوّلًا بكلام لابن تيمية ثم استشهد مرة أُخرى بكلام تلميذه ابن القيم، وكأنّه لم يجد بين العلماء من يدعم كلامه إلّاهذين الشخصين أحدهما مؤسس المنهج والثانى تلميذه، وليس فى ما نقله عن الثانى شىء جديد بل لا صلة له بالموضوع، حيث قال:

والشرك فى الافعال كالسجود لغيره والطواف بغير بيته وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره، وتقبيل الاحجار غير الحجر الأسود الّذى هو عين اللّه فى الأرض وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها.

۱- نفس المصدر السابق.

ص: ۱۹۱

وانت خبير انّه ليس بين المسلمين من يسجد لغير اللّه سبحانه أو يطوف بغيربيته وقد افتى العلماء بحرمة السجود لغيره حتّى وان كان احتراماً وتعظيماً واما تقبيل الاحجار فقد علمت أنّه ليس إلّامن باب الشوق إلى الحبيب وتكريمه وتعزيره، وهى حالة فطرية يتمسك بها بنو البشر إذ عندما يريدون ان يبرزوا حبهم لأحد من الناس فليس بالضرورة أن يكرموه بعينه مباشرة بل يكتفون بتكريم مايحيط به وينتسب إليه كالدار والجدران كما قال قيس صاحب ليلى العامرية:

امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار ولا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

ثم انّ ابن القيمّ نقل فى كلامه عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم أنّه قال: لعن اللّه زوّارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُرج.

فلو صحّ الحديث فهو محمول على النساء اللواتى يتركن وظيفتهن الأساسية المتعلقة بالبيت والزوج ويقمن بالاختلاف إلى المقابر، كما أن ذيله محمول على من اسرج

ص: ۱۹۲

بلا فائدة منه الّذى يُعدّ إسرافاً. ولو اسرج سراجا لقراءة القرآن لصاحب القبر فهو عمل مبارك على أن الرواية ناظرة إلى مطلق القبور ولا صلة لها بقبر اشرف الخليقة وأولاده الطاهرين الذين اذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وقد دعى النبى الناس إلى زيارة قبره وقال أن من حج ولم يزرنى فقد جفانى، وهذه الرواية اخرجها غير واحد من أئمة الحديث.

يقول ابن حجر: اختلف فى النساء فقيل دخلن فى عموم الأذن وهو قول الأكثر ومحله ما إذا آمنت الفتنة ثم قال ويؤيد الجواز حديث الباب(باب زيارة القبور) وقال القرطبى: هذا اللعن إنّما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصفة من المبالغة ولعل السبب ما يفضى إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ منهن من الصياح ونحو ذلك فقد يقال: إذا امن جميع ذلك فلا مانع من الأذن .... (۱) وقد افتى الفقهاء فى المذاهب الأربعة بأن زيارة قبر النبى من أفضل المندوبات واما الحديث فقد فصّل الكلام فيه السبكى فى طرقه فى «شفاء السقام». فمن اراد التوسع والوقوف على الروايات الواردة فى استحباب زيارة

۱- فتح البارى: ۳/ ۱۴۹، باب زيارة القبور؛ وعمدة القارئ: ۸/ ۶۹- ۷۰.

ص: ۱۹۳

النبی صلی الله علیه و آله و سلم فلیرجع إلی «شفاء السقام» للسبکی (۱)، وحظ أیضاً؛ «وفاء الوفاء» للسمهودی، و «إحیاء العلوم» للغزالی، و «شرح الشفاء» للقاضی، إلی غیر ذلک من الکتب المؤلفة فی هذا المجال.

استنتاج الشیخ

ان الشیخ بعد أن نقل کلام الرجلین خرج بالنتیجة التالیة قائلًا:

یتضح لکم ولغیرکم من القراء أن ما یفعله الجهال من الشیعة وغیرهم عند القبور من دعاء أهلها والاستغاثة بهم والنذر لهم والسجود لهم وتقبیل القبور طلباً لشفاعتهم، ونفعهم لمن قبلها، کل ذلکمن الشرک الأکبر لکونه عبادة لهم والعبادة حق اللّه وحده کما قال اللّه تعالی:

«وَاعْبُدُوا اللهَ وَ لَا تُشْرِکُوا بِهِ شَیْئًا» (۲).

یلاحظ علیه: انه نسب إلی الشیعة الأُمور التالیة:

أ. دعاء أهل القبور والاستغاثة بهم.

۱- شفاء السقام: ۶۵- ۱۱۵، الطبعة الرابعة المحققة.

۲- النساء: ۳۶.

ص: ۱۹۴

ب. النذر لهم.

ج. السجود لهم.

د. تقبيل القبور طلباً لشفاعتهم.

ثم وصف الكل بالشرك الأكبر الّذى هو عبارة أُخرى عن الارتداد والخروج عن الدين.

اما الأمر الأوّل: فقد عرفت الادلة الكافية من أنّه لا مانع من دعاء النبى صلى الله عليه و آله و سلم والاستغاثة به لأجل طلب الدعاء منه لأن له عند اللّه مقاماً محموداً يُقبل دُعاؤه وتُستجاب دعوته خصوصاً إذا استغفر للمستغيث قال سبحانه: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً» (۱).

نعم: الاستغاثة بالنبى بما أنّه إله ورب وبيده مصير الداعى كلّاً أو جزءً، هو عبادة له، ولكن لا يوجد بين المسلمين من يعتقد بهذا.

وأما الثانى: أعنى النذر لهم فقد خفى عن الشيخ حقيقة النذر حيث تصور انهم ينذرون للنبى مكان النذر للّه مع أنهم ينذرون للّهسبحانه وإنّما يهدون ثواب عملهم للنبى والأئمة عليهم السلام.

۱- النساء: ۶۴.

ص: ۱۹۵

من الأُمور الرائجة بين المسلمين انهم يقومون بالنذر للنبى صلى الله عليه و آله و سلم ويقول الناذر للّهعلىّ إذا شفى اللّه مريضى أن اذبح شاةً للنبى، وقد زعم الشيخ ان النذر للنبى شرك لأنّه عبادة له ولكنه غفل عن مفاد الصيغة ولأجل ايضاحها نقول:

ان اللام فى قوله «للّه علىّ» يراد بها الغاية الّتى نتيجتها التقرب إلى اللّه سبحانه، ولكن اللام الثانية فى قوله:

«للنبى» للانتفاع واهداء الثواب إليه.

وعند ذلك كيف يكون هذا القول شركاً وعبادة للنبى صلى الله عليه و آله و سلم ونحن نرى مثل ذلك الاستعمال فى الذكر الحكيم فتارة يذكر القرآن الكريم عن أم مريم قولها: «إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا» (۱)

، وفى الوقت نفسه يذكر فى حكم الصدقات ويقول: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ» (۲)

.

وعلى ضوء ذلك فاللام فى قوله «للّه علىّ» مثل اللام فى قوله: «إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ»، كما أن اللام فى قوله «للنبى» مثلها فى: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ» ولا أظن فيمن تدبر فيما ذكرنا أن يعتبر النذر للنبى شركاً.

وقد ورد نظير ذلك فيما صحّ عن سعد أنّه سأل النبى

۱- آل عمران: ۳۵.

۲- التوبة: ۶۰.

ص: ۱۹۶

قال: يانبى اللَّه ان أمى افتلتت [أى ماتت] وأعلم أنّها لو عاشت لتصدقت، أفإن تصدقت عنها أينفعها ذلك؟

فقال صلى الله عليه و آله و سلم: نعم.

فسأل النبى: أى الصدقة انفع يا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم؟

قال: الماء. فحفر بئراً وقال: هذه لأُم سعد. (۱) فالمسلمون بعملهم هذا سعديون لا وثنيون. لا يريدون عبادة المولى بل يريدون ايصال الثواب إليهم كما فعل سعد.

واما الأمر الثالث: أعنى السجود للنبى والأئمة فلا أقول فيه شيئاً إلّاكونه على خلاف الواقع.

واما ما ربما يشاهد من بعضهم السجود فى المشاهد فما هو إلّاسجود للَّهشكراً له لتوفيقه لزيارة النبى وخلفائه.

كان المترقب من المفتى العام أن لا ينسب شيئاً إلى أُمة كبيرة إلّاأن يتحقق منه بواسطة من يثق به.

واما الأمر الرابع: اعنى تقبيل القبور طلباً لشفاعتهم أو نفعهم لمن قبلها فهو تفسير بما لا يرضى به صاحبه إذ ليس التقبيل لغاية طلب شفاعتهم بل لأجل التكريم

۱- سنن أبى داود: ۲/ ۱۳۰ برقم ۱۶۸۱، باب فى فضل سقى الماء؛ السيرة الحلبية: ۲/ ۵۸۳.

ص: ۱۹۷

والتعزیز فقط، وأمّا طلب الشفاعة فهو أمر صحیح یقوم به کل من یعترف بانّ النبی الکریم هو الشفیع الاعظم فیطلب منه الشفاعة بمعنی انّه یطلب منه الدعاء کما کان یطلبه منه حیّاً، فاذا کان طلب الشفاعة بهذا المعنی فی حالة الحیاة جائزاً ولم یکن شرکاً فهو کذلک بعد رحیله إذ لا تختلف حقیقة الأمر بالحیاة والموت.

ثم ان الشیخ رتب علی هذه الأُمور الأربعة بأنّها الشرک الأکبر وهو استنتاج باطل لا یقوم علی دلیل إذ کیف تکون هذه الاعمال عبادة لهم مع أن العبادة تتقوم بعنصرین احدهما الاعتقاد بربوبیة من یدعوه اویستغیث به ولیس بین المسلمین من یعتقد بذلک.

واما الاستشهاد بقوله تعالی: «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِکُوا بِهِ شَیْئاً» (۱)

فهو فی غیر محله لما عرفت من أنّه لیس کل تعظیم شرکاً. ولیس کل تکریم عبادة لغیره سبحانه.

التوسل بعم النبی

قال الشیخ: واما توسل عمر والصحابة بدعاء العباس فی الاستسقاء وهکذا توسل

۱- النساء: ۳۶.

ص: ۱۹۸

معاویـة فی الاستسـقاء بـدعاء یزید بن الأسود فذلک لا بأس به لأنّه توسل بدعائهما وشـفاعتهما ولا حرج فی ذلک. ولهذا للمسـلم أن یقول لأخیه:

أدع اللَّه لی وذلک دلیل من عمل عمر والصـحابة ومعاویة علی أنّه لا یتوسل بالنبی صـلی الله علیه و آله و سـلم فی الاستسقاء ولا غیره بعد وفاته صـلی الله علیه و آله و سـلم ولو کان ذلک جائزاً لما عدل عمر الفاروق والصـحابة عن التوسل به صلی الله علیه و آله و سلم إلی التوسل بدعاء العباس ولما عدل معاویة التوسل به صلی الله علیه و آله و سلم إلی التوسل بیزید بن الأسود وهذا شیء واضح بحمد اللَّه.

روی البخاری قال: کان عمر ابن الخطاب إذا قُحطوا استسـقی بالعباس بن عبـد المطلب رضـی الله عنه فقال: اللهم انا کنا نتوسل إلیک بنبینـا فتسـقینا وانا نتوسل إلیک بعم نبینا فاسـقنا قال: فیسـقون. (۱) والحـدیث صـریح فی أن عمر توسل بـذات العباس ومکانته وجعله الوسـیلة بینه وبین اللَّه ولما کان ظاهر الحـدیث مخالفاً لما علیه الشـیخ من تحریم التوسل بـذات الشـخص حاول ان یؤوّل الحـدیث فی کلامه، وقال: بأن

۱- صحیح البخاری: ۲/ ۳۲، باب صلاة الاستسقاء.

ص: ۱۹۹

الخلیفة توسل بدعاء العباس لا بشخصه ومنزلته.

لا أظن أن أحداً یحمل شیئاً من الانصاف یسوّغ لنفسه أن یفسّر الحدیث بما ذکره لأنّه خلاف ما فهمه الآخرون من الحدیث وخلاف القرائن الموجودة فی الحدیث، اما الأوّل: فهذا هو الرجالی الکبیر ابن الأثیر یقول: واستسقی عمر بن الخطاب بالعباس، فی عام الرّمادة لما اشتد القحط، فسقاهم اللَّه تعالی به وأخصب الأرض، فقال عمر: هذا- واللَّه- الوسیلة إلی اللَّه والمکان منه. (۱) وقال حسّان الشاعر:

سأل الإمامُ وقد تتابع جد بنا فسقی الغمام بغُرّة العباس

عمِّ النبی وصنو والده الذی وَرث النبی بذاک دون الناسِ

أحبی الإلهُ به البلادَ فأصبحت مُخضرَّة الأجناب بعد الیاس

ولمّا سُقی الناس طفقوا یتمسّحون بالعباس ویقولون هنیئاً لک ساقی الحرمین.

۱- اسد الغابة: ۳/ ۱۱۱.

ص: ۲۰۰

إن التأمل فی هذه القضیة التاریخیة والّتی ذکر بعضاً منها البخاری فی صحیحه، یؤکد علی أن من مصادیق «الوسیلة» هو التوسل بأصحاب الجاه والمنزلة عند اللَّه، حیث ینتج منه التقرّب إلی اللَّه وتکریم الداعی والمتوسل.

وأی تعبیر أوضح من قوله «هذا- واللَّه- الوسیلة إلی اللَّه والمکان منه».

یقول القسطلانی(ت ۹۲۳ ه):

«إن عمر- لما استسقی بالعباس- قال: «أیها الناس إن رسول اللَّه کان یری للعباس ما یری الولَدُ للوالدِ، فاقتدوا به فی عمّه واتخذوه وسیلةً إلی اللَّه تعالی».

وفی ذلک یقول العباس بن عتبة بن أبی لهب:

بعمی سقی اللَّه الحجاز وأهله عشیة یستسقی بشیبته عمر

توجه بالعباس فی الجدب راغباً إلیه فما إن رام حتّی أتی المطر

ومنا رسول اللَّه فینا تراثه فهل فوق هذه للمفاخر مفتخر (۱)

۱- المواهب اللدنیّة: ۴/ ۲۷۷، تحقیق صالح أحمد التاجی.

ص: ۲۰۱

ان الاحتجاج بترك الصحابة عملًا من الاعمال وانهم مثلًا:(لم يتوسلوا بالنبى بعد رحيله وإنّما توسلوا بعم النبى العباس) من غرائب الكلام، إذ لم يقل أحدٌ بإن ترك الصحابة فعلًا من الافعال. دليل على حرمته، وإنّما يحتج بفعلهم على جوازه، لا بتركهم.

فإذاً فما معنى قول الشيخ بأن الصحابة لم يتوسلوا بالنبى بعد رحيله، مضافاً إلى أنهم توسلوا به بعد رحيله كما تقدم ذكره.

الأمر الثانى: أعنى لو كان التوسل بالنبى- بعد رحيله- جائزاً لما عُدِل إلى التوسل بالعباس فقد خفى على القائل وجه العدول وليس هو إلّاأن الخليفة حاول ان يوسط بين المستسقين وربّهم إنساناً مقرباً يكون شريكهم فى الحياة ومثيلهم فى المصير، واما النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم فهو وان ذا مكانة عالية لكنه لأجل رحيله لم يكن(فى زمان الاستسقاء) شريكهم وكأن المتوسلين بالعباس يقولون بلسان الحال: ربنا وسيدنا ان لم نكن أهلا للرحمة فعم النبى أهلًا لها فانزل رحمتك الواسعة لأجله، ومن المعلوم ان

ص: ۲۰۲

الرحمة إذا نزلت فهی ستشمل العام والخاص ومن سأل ومن لم یسأل.

تعلیم النبیّ التوسل بشخصه

اشارة

ان النبی صلی الله علیه و آله و سلم هو الّذی علّم التوسل بمکانه وشخصه وذلک فی الدعاء الّذی علمه صلی الله علیه و آله و سلم للضریر، وإلیک نص الحدیث فلیتأمل القارئ فیه فهل ان النبی صلی الله علیه و آله و سلم کان قد أمر الضریر أن یتوسل بدعاء النبی أم أنّه قد أمره بالتوسل بشخص النبی ومقامه وشخصیته. ومن المعلوم ان شخصه ومکانته عند اللّه، محفوظة حیّاً ومیتاً وإلیک الحدیث:

۱. روی أکثر من واحد من المحدثین «۱» کالنسائی والبیهقی والطبرانی والترمذی والحاکم- وقد اتفقوا علی صحة الحدیث-: أن رجلًا ضریراً أتی إلی النبی صلی الله علیه و آله و سلم فقال:

ادع اللّه أن یعافینی.

فقال صلی الله علیه و آله و سلم: ان شئت دعوتُ، وإن شئت صبرت وهو خیر؟

ص: ۲۰۳

قال: فادعُهُ، فأمره أن يتوضأ فيُحسن وضوءهُ ويصلى ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إنى اسألك وأتوجه إليك بنبيك نبى الرحمة يا محمد انى اتوجه بك إلى ربى فى حاجتى لتقضى، اللهم شفعه فىّ».

ان الدعاء الّذى علمه النبى صلى الله عليه و آله و سلم تضمّن التوسل بذات النبى بصراحة تامة.

فيكون ذلك دليلًا على جواز التوسّل بالذات، وقداسته محفوظة وهو حىّ عند اللّه كحياة الشهداء.

وإليك الجمل والعبارات التى هى صريحة فى المقصود:

۱. اللّهمّ إنّى أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك

إنّ كلمة «نبيّك» متعلّقة بفعلين، هما: «أسألك» و «أتوجّه إليك»، والمراد من النبى صلى الله عليه و آله و سلم نفسه القدسية وشخصيته الكريمة لا دعاؤه.

وتقدير كلمة «دعاء» قبل لفظ «بنبيك» حتّى يكون المراد هو «أسألك بدعاء نبيّك، أو أتوجّه إليك بدعاء نبيّك» تحكّم وتقدير بلا دليل، وتأويل بدون مبرّر، ولو أنّ محدثاً ارتكب مثله فى غير هذا الحديث لرموه بالجهمية والقدريّة.

ص: ۲۰۴

۲. محمد نبی الرحمة

لکی یتّضح أنّ المقصود هو السؤال من اللّه بواسطة النبی صلی الله علیه و آله و سلم وشخصیته فقد جاءت بعد کلمة «نبیک» جملة «محمد نبی الرحمة» لکی یتّضح نوع التوسّل والمتوسّل به بأکثر ما یمکن.

۳. یا محمد إنّی أتوجّه بک إلی ربّی

إنّ جملة «یا محمد إنّی أتوجّه بک إلی ربّی» تدلّ علی أنّ الرجل الضریر- حسب تعلیم الرسول- اتّخذ النبی نفسه، وسیلة فی دعائه أی أنّه توسّل بذات النبی لا بدعائه صلی الله علیه و آله و سلم.

۴. وشفّعه فیّ

إنّ قوله: «وشفّعه فیّ» معناه یا رب اجعل النبی شفیعی، وتقبّل شفاعته فی حقّی، ولیس معناه تقبل دعاءه فی حقّی، فإنّه لم یرد فی الحدیث أنّ النبی دعا بنفسه حتّی یکون معنی هذه الجملة: استجب دعاءه فی حقّی، ولو کان هناک دعاء من النبی لذکره الراوی؛ إذ لیس دعاؤه صلی الله علیه و آله و سلم من الأُمور غیر المهمة حتّی یتسامح الراوی فی حقّه. وحتّی لو فرضنا أنّ معناه «تقبّل دعاءه فی حقّی» فلا یضر ذلک

ص: ۲۰۵

بالمقصود أیضاً، إذ یکون علی هذا الفرض هناک دعاءان:

دعاء الرسول ولم یُنقل لفظه، والدعاء الذی علّمه الرسول للضریر، وقد جاء فیه التصریح بالتوسّل بذات النبی وشخصه وصفاته، ولیس لنا التصرّف فی الدعاء الذی علّمه الرسول للضریر، بحجّة أنّه کان هناک للرسول دعاء.

وأخیراً نقول: کیف یقول الشیخ بن باز فی رسالته مخاطباً للشیخ واعظزاده: «والواجب علی المسلمین الاتباع والتقیّد بالشرع، والحذر من البدع القولیة والعملیّة ولهذا لم یترک الصحابة- رضی اللّه عنهم- بشعر الصدیق أو عرقه أو وضوئه ولا بشعر عمر أو عثمان أو علی أو عرقهم أو وضوئهم ... ولا- بعرق غیرهم من الصحابة وشعره ووضوئه لعلمهم بأنّ هذا أمر خاص بالنّبیّ صلی اللّه علیه وسلّم ولا یقاس علیه غیره فی ذلک.» ثمّ نَسی بأنّ جمعاً من الناس فی مشهده ومرآه یتبرّکون بفضول طعامه وقد أقرّ الشیخ نفسه بترک هؤلاء الناس من فضول طعامه فی رسالته؟!» (۱) إلی هنا تمت مناقشة المواضع الرئیسیة فی رسالة الشیخ ابن باز.

۱- انظر: ص ۱۶ و ۴۰ س هذا الکتاب.

ص: ۲۰۶

اسأل اللّه سبحانه ان ينور قلوبنا بنور الإيمان ويجعلنا اخوانا يسدّد بعضنا البعض الآخر، ويرزقنا فهم الدين واخلاص العمل، والتحرز عن الخوض فی دماء المسلمين برمی البعض بالشرک تارة وبالبدعة أُخری، وان يكون المعيار فی الدخول إلی حظيرة الإسلام والخروج عنها قول نبينا صلی الله عليه و آله و سلم: «من شهد أن لا اله إلّااللّه واستقبل قبلتنا، وصلی صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلک المسلم، له ما للمسلم وعليه ما علی المسلم». (۱) وان نجعل نصب اعيننا قول نبينا صلی الله عليه و آله و سلم كما أخرج مسلم عن نافع عن ابن عمر: ان النبی صلی الله عليه و آله و سلم قال: إذا كفّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما. (۲) واخيراً أقول أنّه ليس ممّا يرتضيه اللّه ورسوله أن يُرمی المسلمون الأخيار، الطافحة قلوبهم بأنوار التوحيد، والمفعمة افئدتهم بمحبة اللّه ومودة رسوله، بالشرک والكفر، لا لشیء إلّالشبهة أو شبهات حصلت للرّامين، من دون أن

۱- جامع الأُصول لابن الأثير: ۱/ ۱۵۸.

۲- صحيح مسلم: ۱/ ۵۶، باب من قال لاخيه المسلم يا كافر، من كتاب الإيمان.

ص: ۲۰۷

یحققوا فی الأمر، أو یستمعوا إلی أدّلة الطرف الآخر أو یعیروا الکتاب والسنة وسیرة السلف والخلف من الصحابة والتابعین والعلماء والمجاهدین الاهتمام الکافی والعنایة المناسبة اللازمة.

والحمد للّه‌رب العالمین

جعفر السبحانی

قم المقدسة

۱۷/ صفرالمظفر/ ۱۴۲۸ ه

ص: ۲۰۸

ص: ۲۰۹

فهرس المصادر

۱- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، يحيى بن شرف النورى، بيروت، دار الكتاب العربى، ط. الرابعة، ۱۴۰۴ ق.

۲- الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ، محمّد بن عبد الرحمن السخاوى، مطبعة الترقى، دمشق، ۱۳۴۹ ه.

۳- الأمالى، محمّد بن النعمان(الشيخ المفيد)، تحقيق على أكبر الغفارى، منشورات جماعة المدرسين، قم ۱۴۰۳.

۴- بيان زغل العلم والطلب، محمّد بن محمّد الذهبى، مطبعة توفيق، دمشق.

۵- التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول، منصور على ناصف، دار إحياء التراث العربى، ط. الرابعة، ۱۴۰۶.

۶- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد الذهبى، تحقيق: عمر عبد السلام تدمرى، بيروت، دار الكتاب العربى، ۱۴۰۹ ق.

ص: ۲۱۰

۷- تفسیر القرآن العظیم، اسماعیل بن کثیر، بیروت، دار المعرفة، ۱۴۰۲ ه.

۸- تهذیب الأحکام فی شرح المقنعه، محمّد بن الحسن الطوسی، تهران دار الکتب الاسلامیة، ۱۳۹۰ ه.

۹- تهذیب الکمال فی أسماء الرجال، جمال الدین یوسف المزی، تحقیق: بشار عوّاد معروف، بیروت، مؤسسة الرسالة، ۱۴۱۳.

۱۰- تهذیب التهذیب، أحمد بن علی بن حجر العسقلانی، تحقیق:

مصطفی عبد القادر عطا، بیروت، دار الکتب العلمیة، ۱۴۱۵.

۱۱- جامع الاصول فی أحادیث الرسول، محمّد ابن الاثیر الجزری، تحقیق عبدالقادر الارناؤوط، بیروت، دار الفکر، ۱۴۰۳ ق.

۱۲- جامع البیان عن تأویل آی القرآن، محمد بن جریر الطبری، بیروت، دار الفکر، ۱۴۰۸ ه.

۱۳- الجامع الصغیر فی أحادیث البشیر النذیر، جلال الدین السیوطی، بیروت، دار الکتب العلمیة.

۱۴- جامع العلوم والحکم، ابن رجب الحنبلی، بیروت، دارالجیل، ۱۴۰۷ ه.

۱۵- الجواب الکافی لمن سأل عن الدواء الشافی، ابن قیم الجوزیة، تحقیق: ابن عالیة، بیروت، دار الکتاب العربی، ط.

ص: ۲۱۱

الرابعة، ۱۴۱۲ ق.

۱۶- الجوهر المنظم فی زیارة القبر المکرم، علی بن أبی بکر الهیثمی، القاهرة، نشر دار جوامع الکلم.

۱۷- دفع الشبهة عن الرسول والرسالة، أبو بکر محمد بن عبد المؤمن الحصنی، تحقیق: جماعة من العلماء، بیروت، دار إحیاء الکتاب العربی، ط. الثانیة، ۱۴۱۸.

۱۸- ذخائر العقبی، محب الدین الطبری، تحقیق اکرم البوشی، مکتبة الصحابة، جدّة، ۱۴۱۵ ه.

۱۹- روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم والسبع المثانی، محمود الآلوسی، تصحیح: محمد حسن العرب، دار الفکر، ۱۴۱۷ ق.

۲۰- الروح فی الکلام علی أرواح الأموات والأحیاء بالدلائل من ۲۱- الکتاب والسنّة والآثار وأقوال العلماء، ابن قیم الجوزیة، تحقیق: محمد علی القطب، المکتبة العصریة، بیروت، ۱۴۲۲ ه.

۲۲- سلسلة الأحادیث الصحیحة، محمد ناصر الدین الألبانی، بیروت، المکتب الإسلامی، ط. الرابعة، ۱۴۰۵.

۲۳- سلسلة الأحادیث الضعیفة والموضوعة، محمد ناصر الدین الألبانی، الریاض، مکتبة المعارف، ط. الخامسة، ۱۴۱۲.

۲۴- سنن ابن ماجه، محمد بن یزید القزوینی، تحقیق محمّد فؤاد

ص: ۲۱۲

عبدالباقی.

۲۵- سنن الدارمی، أبو محمد عبد اللّه بن بهرام الدارمی، دار إحیاء السنّة النبویة.

۲۶- سیر أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبی، باشراف: شعیب الأرنؤوط، بیروت، مؤسسة الرسالة، ط. الرابعة، ۱۴۰۶.

۲۷- السیرة النبوّیّة، ابن هشام، تحقیق مصطفی السقّا وغیره، بیروت، دار احیاء التراث العربی.

۲۸- شرح نهج البلاغة، ابن ابی‌الحدید، تحقیق محمّدابوالفضل ابراهیم، دار احیاء الکتب العربیة، ۱۳۸۷ ه.

۲۹- شعب الإیمان، أبو بکر أحمد بن الحسین البیهقی، تحقیق:

محمد السعید زغلول، بیروت، دار الکتب، ۱۴۱۰ ق.

۳۰- الشفا بتعریف حقوق المصطفی، قاضی عیاض، تحقیق: علی محمد البجاوی، دار الکتاب العربی.

۳۱- شفاء السقام فی زیارة خیر الأنام، تقی الدین السبکی، الطبعة الرابعة، ۱۴۱۹ ق.

۳۲- صحیح البخاری، محمد بن إسماعیل البخاری، بیروت، دار إحیاء التراث العربی.

۳۳- صحیح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقیق: محمد فؤاد عبد الباقی، بیروت، دار إحیاء التراث العربی.

ص: ۲۱۳

۳۴- طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن على السبكى، تحقيق: محمد الحلو، بيروت ۲، دار إحياء الكتاب العربى.

۳۵- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، بيروت، دار صادر.

۳۶- علل الشرايع، محمّد بن على الصدوق، قم، مكتبة الداورى، ۱۳۸۵ ه.

۳۷- العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق:

وصى اللّه عباس، المكتب الإسلامى، بيروت، ۱۴۰۸ ه.

۳۸- عمدة القارئ شرح صحيح البخارى، البدر العينى، بيروت دار الفكر.

۳۹- الفتاوى الحديثة، على بن أبى بكر الهيثمى، بيروت، دار المعرفة.

۴۰- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، أحمد بن على بن حجر، باشراف: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

۴۱- الفتوحات الربّانية على الأذكار النواوية، محمد بن علّان، المكتبة الإسلامية.

۴۲- فقه السيرة النبوية، سعيد رمضان العالم البوطى، دمشق، دار الفكر، ط. العاشرة، ۱۴۱۱ ق.

۴۳- فيض القدير، شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، محمد عبد الرؤوف المناوى، تصحيح: أحمد السلام،

ص: ۲۱۴

بيروت، دار الكتب العلمية.

۴۴- الكافى، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكلينى، تصحيح: على أكبر الغفارى، دار الكتب الإسلامية، ط الثالثة، ۱۳۸۸ ه.

۴۵- الكتاب المصنف فى الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد اللّه بن أبى شيبة، تصحيح: محمد عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ۱۴۱۶ ق.

۴۶- لسان الميزان، أحمد بن على ابن حجر العسقلانى، تحقيق:

بإشراف محمد عبد الرحمن المرعشلى، دار إحياء التراث، ط. ۱۴۱۶ ق.

۴۷- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، على بن أبى بكر الهيثمى، بيروت، دار الكتاب العربى، ۱۴۰۲ ق.

۴۸- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبرانى، تحقيق: حمدى عبد المجيد السلفى، القاهرة، مكتبة ابن تيمية.

۴۹- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد اللّه الحاكم النيسابورى، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلى، بيروت، دار المعرفة.

۵۰- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: بإشراف الدكتور عبداللّه بن عبد المحسن التركى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ۱۴۲۰ ق.

۵۱- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، محمد بن أبى الفيض

ص: ۲۱۵

الشهير بالكتّانى، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الثانية، ۱۴۰۷.

۵۲- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، على بن أحمد السمهودى، تحقيق محمّد محى الدين عبدالمجيد، بيروت، دار الكتب، العلمية، ط. الرابعة، ۱۴۰۴ ه.

***

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹